المغامرون الاربعة



مكتبتنا

تأليف : انيد بلايتون
ترجمة : ايمان رشيد السامرائي

المغامرون الاربعة

ترجمة : ايمان رشيد السامرائي

الغلاف والرسوم الداخلية نديم محسن

أرشفة : ماجد عبد الحميد

فريق التوثيق الألكتروني

فريق التوثيق الألكتروني

المغامرون الاربعة
الطبعة الاولى ١٩٨٧
ترجمة ايمان رشيد السامرائي

الناشـر: دار ثقـافـة الاطفـال ص. ب ١٤٠٨ بغداد العراق

سلسلة مكتبتنا

تصـدر عن قسم البحـوث والنشـر في دار ثقافة الاطفال
المدير العام رئيس مجلس الادارة فاروق سلوم
سكرتير التحرير فاروق يوسف

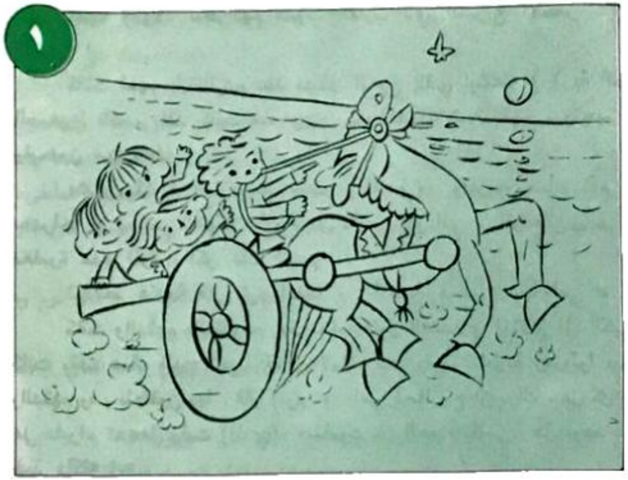


المغامرون الاربعة

جاءت عطلة العيد ، والتوأمتان (ماري) و (جيل) وشقيقهما (توم) يقضون عطلتهم كالعادة في قريتهم الصغيرة المطلة على البحر حيث توقعوا ان يقوموا بمغامرات مثيرة مثل تلك التي قاموا بها في الصيف الماضي . ومرة اخرى التقوا بصديقهم الولد الصياد (أندي) .

قفز الاخوة الثلاثة فرحا عندما وافق (أندي) على ان يأخذهم في نزهة بحرية الى (جرف الطيور) .

كان (توم) يأمل بالتقاط بعض الصور الفوتوغرافية كي يشارك بها في مباراة التصوير التي تنوي مدرسته اقامتها للطلاب . لكن احدا منهم لم يكن يتخيل أن تلك البقعة الهادئة من الساحل تخفي وراءها سرا مميتا !



مع اندي مرة اخرى

استقل الاخوة الثلاثة عربة زراعية ، راحت تتدحرج على ارض القرية الوعرة صعودا ونزولا . قال توم ذو الشعر الاحمر «.. سوف نرى آندي قريبا جدا لم نلتق به منذ مغامرتنا الاخيرة في الصيف الماضي» .

كان للاولاد مغامرات كثيرة ومثيرة برفقة صديقهم (آندي) فلقد ذهبوا جميعا ذات مرة ، بقارب الصيد الذي يملكه والد (آندي) ، وفوجئوا خلال رحلتهم تلك ، بعاصفة قوية جعلت التيار يقذف بهم نحو جزيرة مهجورة ، عثروا فيها على غواصة مختبئة . اهتزت العربة الزراعية وهي تنطلق بسرعة . واصبح الاولاد على مقربة من البحر . حينها صرخ الاولاد وهم يشاهدون البحر : «البحر !.. هاهو البحر ! انظروا تلك هي قوارب الصيد !». ثم هتف توم «.. انظروا ! ذلك هو قارب آندي ذو الشراع الاحمر !».

اتجه الاولاد بنظراتهم صوب القارب ذي الشراع الاحمر .. قارب (أندي) !.

كانت امهم بانتظارهم عند مدخل الكوخ الذي ابتاعته في قرية الصيد الصغيرة تلك ، ولقد كانت منذ يومين تعد المنزل لاستقبالهم ، وتجهز لهم مايحبون من طعام .

«شهر بأكمله اجازة مع البحر و (أندي) . وقاربه» صاح توم «انا بصراحة لا يمكنني التفكير بأروع من ذلك . ولو اني لا اتوقع ان نحظى بأية مغامرة هذه المرة ، لكن ذلك لايهم !».

ثم بعد هنيهة قال توم ايضا «.. انظروا هناك ! انها امي !».

كانت والدتهم بانتظارهم عند بداية الممر الصخري المؤدي الى الكوخ . كانت تقف هناك تلوح لهم . فقفز الاولاد بعد وقوف العربة وهرولوا صوب والدتهم وهم يتعلقون بها : قال (توم) «.. امي ! ماأروع ان نراك ، هل كل شيء على مايرام ؟» «هل رأيت (أندي)» «سأموت من الجوع ياأمي ، هل يوجد طعام لذيذ نأكله ؟» .

ضحكت والدتهم وهي تقول : «.. اهلا بكم ثانية في الكوخ الصغير ياأولاد .. بالطبع يوجد الكثير مما ستأكلون يا (توم) ، نعم لقد رأيت (أندي) . انه أسف لانه لم يتمكن من استقبالكم ، اذ يوجد حشد كبير من الاسماك ، وكان عليه ان يذهب مع والده في القارب ليساعده في الصيد .».

«.. هل يسير القارب على مايرام ؟» سأل (توم) بلهفة «.. كان رائعا في الصيف الماضي ، ولطالما حسدت (أندي) لاننا في المدرسة ، وهو هنا يبحر مهما كانت احوال الطقس ويقضي اوقاتا رائعة .» .

«.. متى سيعود (أندي) اذن ؟» . سألت (جيل) «.. هل تغير ياأمي ؟ هل مازال كما تركناه ؟» .

«.. طبعا !» اجابتها والدتها «.. لقد كبر وطالت قامته قليلا ، هو الآن في الخامسة عشرة تقريبا كما تعرفين . وانت يا (توم) صرت في الثالثة عشرة .. لقد كبرت ايضا ، وكذلك البنات ، ستتمكنون من رؤية (أندي) هذا المساء ، بعد ان تعود قوارب الصيد ، لقد وعدني ان يأتي الى هنا حالما يعود كي يراكم .»

هرول الجميع نحو الممر المؤدي الى باب الكوخ الخشبية . كانت نصف

مفتوحة ، ونار المدفأة متوهجة في غرفة الجلوس ، كانت مائدة الطعام عامرة بصحون عديدة من مختلف انواع الطعام والتي كان منظرها يبعث على البهجة في قلوب الاولاد ، وخصوصا (توم) الجائع ابدا !

وبعد ان تناول الاولاد طعامهم خلعوا ملابسهم المدرسية ، واضطربوا وهم يبحثون عن الملابس التي سيرتدونها ، كان الطقس لطيفا ومشمسا يشبه ايام الصيف تقريبا . ثم خرج الاولاد وهم يركضون مسرعين صوب الشاطىء .

كانت قوارب الصيد تأتي تباعا وهي ترسو بحمولتها ، ومن بينها كان قارب (أندي) واضحا للعيان .

«.. انه منظر رائع ! هائل ! جموع الصيادين قادمة !» . قال توم وهو يقفز على الصخور الناتئة سعيدا ومبتهجا .

«.. هاهو (أندي) ووالده ايضا» . صاحت (جيل) «.. أندي ! أندي ! نحن هنا !» .

«..هوووه !» جاءهم صوت (أندي) عاليا «.. هوووووه !!» .

حينئذ كان قاربه الجميل ينساب بنعومة باتجاه الصخرة الناتئة التي وقف عليها الاولاد . وفي لحظات كان (أندي) يثب بسرعة نحوهم ، صافحهم وراح يعانق (توم) بفرح غامر .

«.. أندي ، لقد كبرت ، اوه أندي ! ها نحن معا ثانية ! ماأجمل هذا !» .

«.. رائع !» قالها (أندي) بكل ماأوتي من غبطة ، وشدد على كلمته قائلا «.. رررررائع !» بعدها قفز والده عن القارب ، وابتسم للاصدقاء الثلاثة وهو يصافحهم بحرارة . كان والد (أندي) صارما بعض الشيء ، لكن الاولاد كانوا يحبونه ويثقون به .

«.. كم احب الاجازة ! اكثر من اي شيء آخر !» قالت (ماري) .

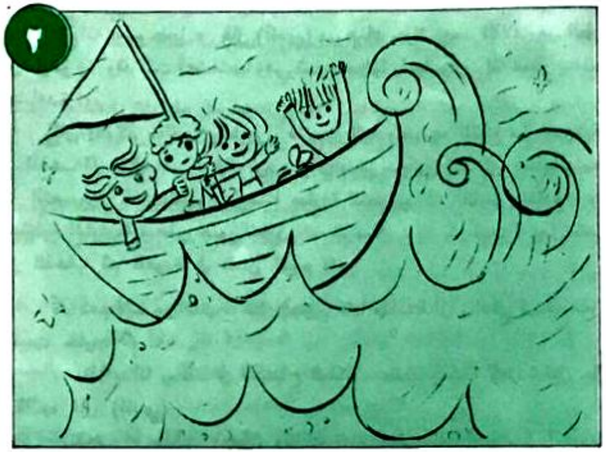
«.. هل يمكننا الذهاب معك بالقارب عاجلا ؟» سأل توم «.. هذا المساء ياأندي ! هل ذلك ممكن ؟!» .

«.. لا .. ليس اليوم .» قال (أندي) ، وكان متأكدا ان اباه لن يسمح له بأخذ القارب هذا اليوم . «.. ربما غدا !» اذا سمح ابي لي بذلك ، ربما لن يحتاج الى القارب غدا بعد رحلتنا الموفقة هذا اليوم» .

بعد ان تكلموا كثيرا وبمرح قال (أندي) : «.. سنلتقي غدا .» وبعد ان

ودعوه ، عادوا ادراجهم الى المنزل . هاهم في كوخهم الجميل ثانية ! لقد شعروا بالتعب فجأة . تناولوا قليلا من طعام العشاء ثم خلعوا ملابسهم ، وأغتسلوا ثم ذهبوا ، ليستلقي كل منهم على سريره .

●



الرحلة البحرية

كانت الايام القليلة الماضية رائعة ، فلقد اخذهم أندي بقاربه في نزهات عديدة . «.. سأتخذ من الشراع الاحمر شعارا لي !» قالت (جيل) «.. فانا احبه جدا . (أندي) ! هل نستطيع الذهاب مع بقية القوارب حين تبحر للصيد ؟» .

«..نعم بالطبع» قال (أندي) . «.. لنذهب الى اماكن اكثر اثارة» . اقترح (توم) «.. هل يمكننا الذهاب بالقارب في رحلة بعيدة الى مكان ما ؟ (أندي) ! انت تستطيع ان تأخذنا الى مثل هذا المكان !».

«.. حسن !» . قال (أندي) «.. لقد وعدت والدتكم ان لا اصطحبكم الى مكان ابعد مما نذهب ، فلربما هبت عاصفة ، كما حدث لنا في العام الماضي .»

«.. حاول ان تفكر بمكان آخر !» . توسلت التوامتان «مكان لم يسبق لاحد الذهاب اليه» «.. حسن ! هنالك مايسمى (جرف الطيور)» . قال (أندي) ، وراح الاولاد يحدقون به فاغرين افواههم .

«.. جرف الطيور ؟!» تساءلت (جيل) «.. ياله من اسم غريب !» .

«.. انه اسم جميل» . قال (أندي) «.. هناك حيث توجد الآلاف من الطيور من كل نوع . وقد بنت اعشاشها وهي تحوم حولها باستمرار . انه منظر يستحق المشاهدة !» .

كان الاولاد مولعين بالطيور ، فنظروا اليه وعيونهم تلتمع من الدهشة :

«.. لنذهب الى هناك اذن .» قال توم «.. اي منظر سيكون ذلك ! .. سأجلب معي آلة التصوير ، اذ ستقيم مدرستنا مباراة للتصوير في الفصل القادم ، وقد استطيع المشاركة ببعض صور للطيور !» . ثم سأل : «.. كم تبعد ؟ وهل نتمكن من الذهاب ثم العودة في نفس اليوم ؟!»

«.. نعم لابد من ذلك !» قالت(جيل) «انا متأكدة ان والدتي لن تسمح لنا بالمبيت خارجا .» ..

«.. اذا بدأنا رحلتنا في الصباح الباكر ، عندئذ يمكننا العودة قبل حلول الظلام» قال (أندي)

«متى سنذهب ؟» سألت (جيل) وكانت تبدو لهفى للغاية «.. غدا ؟.»

«.. كلا ، علي الذهاب مع ابي غدا .» اجاب (أندي) «.. لكن ربما بعد غد ، ستقضون يوم غد بدوني ، واقترح ان تغتنموا الفرصة لتقرأوا شيئا عن الطيور» .

في اليوم التالي قرأ الاولاد كل ماوقع تحت ايديهم ؛ من كتب عن الطيور حتى حفظوا اسماء الكثير من الطيور ، وتعرفوا على اشكالها ايضا . اخبر الاولاد والدتهم بما ينوون القيام به فوافقت شرط ان لايجازفوا بعمل شيء لايعرفونه .

في اليوم التالي استيقظ الثلاثة من نومهم فرحين ، بمجرد ان دقت الساعة المنبهة ، كان الوقت فجرا ، تسلل (توم) الى غرفة البنات ليتأكد من نهوضهما وحتى لاتعود احداهما للنوم ثانية .

في تلك الاثناء ظهرت والدتهم «.. حسن اني رأيتكم قبل ان تغادروا ، لقد وعدتموني ان تكونوا حذرين ، اليس كذلك ؟ هل تتوفر في قارب (أندي) اطواق نجاة ؟»

«.. اوه ياامي تعلمين جيدا اننا جميعا نجيد السباحة كالاسماك !» قالت (جيل)

«.. نعم هذا ان كان الطقس هادئا ! لكن حين تكون هناك عواصف ، فان احتمال انقلاب القارب يكون كبيرا ، حينها ستجدون السباحة عملا شاقا .. هل حزمتم طعامكم في القارب جيدا ؟» .

«.. طبعا !.. طبعا» اجاب (توم) الذي يعتني جيدا بكل مايتعلق بالطعام . وهناك عند الشاطيء ، كان (أندي) في انتظارهم وحين رآهم ، ابتسم قائلا : «هيا الى القارب ، كل شيء جاهز ، وسنبدأ الابحار حالا !» .

ابتعد القارب عن الساحل ، وكان نسيم الصباح يداعب شراعه .. وفجأة اشرقت الشمس : «.. كثير من الناس لم يستمتعوا بشروق الشمس .» قالت (جيل) وهي تتكيء على حافة القارب .

«.. انتبهوا الى الشراع !» . صاح (أندي) حين كان الشراع يميل قليلا . كان (أندي) جالسا في المؤخرة ليتمكن من السيطرة على دفة القارب . «.. انا اقول ..» بدأ (توم) بالكلام «.. الم يحن الوقت بعد لكي ..» . فبادره الجميع بصوت واحد «..لكي .. نتناول بعض الطعام !!» .

«.. لم اكن لاقول ذلك ، لكنني كنت سأقول ان علينا الاقتراب اكثر من الشاطيء فنحن نوشك ان نبتعد الى وسط البحر !» .

«.. لنفعل ذلك» قال (أندي) وهو يمسك مؤخرة القارب بثبات «.. توجد صخور كثيرة بالقرب من هذا المكان ، لذا لانستطيع الاقتراب اكثر من الشاطيء وحين اعثر على العلامة التي دلني عليها والدي فسوف نقترب قليلا .» كان (أندي) يقود القارب بثقة رغم اشتداد الريح قليلا .

«انظروا هناك !» قال (أندي) «.. تلك النتوءات الصغيرة ، انها صخور قريبة من سطح الماء ، قد تثقب احداها اسفل القارب لو غفلنا عن مراقبتها لحظة ، علينا الآن ان نستمر في الابحار بعيدا عنها ، لكن راقبوا معي وجود ثلاث اشجار صنوبر طويلة على الشاطيء ، بعدها ندلف خلال الممر المائي المؤدي الى (جرف الطيور) بعد ذلك سألت (ماري) «.. متى سنكون هناك ؟» .

اجاب (أندي) «.. سنصل الى هناك عند حوالي الساعة الحادية عشرة ، ان اسعفنا الحظ ، وربما قبل هذا الوقت ، وسنتمكن من تناول الغداء هناك» وبعد دقائق صمت جاء صوت (أندي) هاتفا «.. الآن اصبحنا بمواجهة اليابسة هل ترون تلك الشجرات الثلاث ؟ هناك على امتداد الساحل ؟»

«.. لك عينا صقر يا (أندي) قال (توم) وهو يمد قامته ليتمكن من رؤية الاشجار على الساحل البعيد ».

استطاع (أندي) ان يدير الدفة قليلا ، فراح الشراع يرفرف بقوة حين كان القارب يسير بسرعة اكبر .



جرف الطيور

بدأ القارب يتجه نحو الساحل ، وبدا الجرف الصخري المنحدر واضحا ، كان الوقت حوالي الساعة الثامنة ، حين كانت الشمس تشع باعثة دفئها الجميل . «..ياالهي !.. ياله من ساحل موحش ، مقفر !» صرخ (توم) وهو يقف على سطح القارب الذي بدأ يشق طريقه مسرعا نحو الشاطىء .

تمكن الاولاد من رؤية تيار مائي شديد قادم بأتجاههم ، كانت امواجه تزيد وتصطخب «انتبهوا !» صاح (توم) وهو يشير الى امام «.. نعم .. انه الممر المائي الذي حدثتكم عنه» اجاب (أندي) «انه هناك خلف الموج المتلاطم». استطاع (أندي) ان يستدير بذكاء حول تلك البقعة المائية المضطربة ، حيث كانت مياه البحر تتكسر فوق الصخور بحيث يصعب رؤية اليابسة من خلالها . بعد ذلك بدأ القارب يجد طريقه بسهولة والريح تدفع شراعه بكل قوتها حتى

صار في قناة مائية متفرعة عن ذلك الممر حيث كان الماء يجري هادئا هناك . «.. ان القارب يسير باتجاه (صخرة المهربين)» قال (أندي) «.. لكننا سنرسو على اليابسة قبل الوصول الى هناك» .

«.. صخرة المهربين !؟ ياله من اسم مثير !» تساءل (توم) وهو ينظر الى خارطة بين يديه كان والد (أندي) قد رسمها لهم كي يستدلوا بها . «.. اوه حقا !.. لقد دونها ابوك هنا ! لكنها بعيدة عن هذا المكان .» قال (توم)

وبعد لحظات قال (توم) «..

انها الساعة العاشرة والنصف ، .. لست افكر سوى بحساب الوقت ، وكم سنقضي هناك ، حيث يجب ان نضع نصب اعيننا بضع ساعات تسمح لنا بالعودة !» .

«سوف نقضي عند (جرف الطيور) ساعتين فقط» قال (أندي) «.. لكنها ستكفي . سنقوم اولا بتسلق الجرف الصخري ، بعدها نتناول وجبة طعام ونلتقط بعض الصور ثم نقفل عائدين» .

اليست تلك هي (صخرة المهربين) ؟» صرخت (جيل) فجأة وهي تشير نحو الغرب . نظر الآخرون فشاهدوا جزيرة صخرية تبدو من خلال الامواج على مسافة بعيدة .

«.. بلى .. تلك هي صخرة المهربين .» قال (أندي) ثم اضاف «.. انظروا الى الطيور وهي تحط على الماء او تحلق فوقه» .

دهش الاولاد وهم ينظرون الى الاعداد الهائلة من الطيور ، والتي توجد في كل مكان . قالت (جيل) ان اصوات النوارس تشبه مواء القطط ! كانت الطيور من كل نوع تحلق فوق المياه ، او تتجه صوب امواجها فتشقها .

«.. الآن ! وبعد اجتياز هذه المنطقة الصخرية سنكون في خليج ضحل ، حيث يربض خلفه (جرف الطيور) الذي اتيت بكم لمشاهدته» قال (أندي) «.. ان الجرف مليء بالحافات الصخرية التي يحلو للطيور بناء اعشاشها فوقها ، لابد ان هذه الطيور هنا منذ مئات السنين .» .

شق القارب طريقه خلف المنطقة الصخرية ، واندفع نحو المياه الضحلة في ذلك الخليج . وقف الاولاد يحدقون في ذلك الجرف العالي الذي يبدو كبرج شاهق . «انه مكان مثير حقا !» قالت (جيل) .

«.. اين سنوقف القارب ؟» سألت (ماري) «لايوجد هنا نتوء صخري ، ماعسانا ان نفعل ؟» . فأجابها (أندي) «.. سأجره الى ذلك الحوض بالقرب من قاعدة الجرف . واسقط المرساة هناك ، حيث سيكون القارب في احسن حال» . حين وقف القارب خلع الاولاد احذيتهم وربطوها حول اعناقهم ثم راحوا يشقون الطريق بين الصخور نحو الجرف . قال (أندي) بشجاعة تليق به : «.. اتبعوني بحذر ، انه جرف رطب ، لكنه ليس خطرا ، وانت ياتوم كن آخر واحد بعدنا كي تحمي الفتيات من السقوط» .

وسط صياح الطيور المتصاعد حولهم وصفقات اجنحتها القوية ، بدأ الاولاد تسلقهم ، كان هناك الكثير من مواضع الاقدام داخل الصخور تسمح لهم بالثبات وتجعل تسلقهم سهلا . وبعد ان قطعوا مسافة لابأس بها ، صاروا عند حافة عريضة حيث عادوا ولبسوا احذيتهم المطاطية .

حمل (توم) آلة التصوير وعلقها على كتفه . ثم اجتازوا تلك الحافة الى حافة اخرى اعرض منها . جاء صوت (جيل) وهي تصرخ : «.. أندي !.. لقد نظرت توا الى الاسفل ، اوه ! ذلك يشعرني بدوار مخيف !» اجابها (أندي) الذي لم يأبه لارتفاع الجرف «.. اتبعوني وسأقودكم الى مكان اكثر امانا حيث يمكننا الاستراحة ، اظن انكم تعبتم !» .

بدا الفرح واضحا على وجه (جيل) وهي تشاهد النهاية العريضة للحافة الصخرية حيث يوجد كهف صغير . ركض الاولاد الى هناك وتمددوا على الارض : «.. سأخرج قليلا كي ارى هل باستطاعتي التقاط بعض الصور» قال (توم) وبمجرد ان مشى بضع خطوات ، وقف فجأة ! لقد سمع صوتا ما ! انه صوت شخص يصفر ! ياللغرابة !.



اللغز المحير

كان الصفير عاليا وواضحا ، وكان الاولاد يصغون اليه بدهشة كبيرة . سأل توم : «.. هل سمعتم ذلك ؟ شخص ما يصدر صفيرا !» .
اجابه (أندي) «.. سنرى من يكون !». عاد صوت الصفير يعلو مرة اخرى . وكما يبدو فان الرجل الذي يصفر كان جالسا بالقرب منهم . «.. يبدو انه فوقنا بالضبط» قالت (جيل) بهمسة خائفة «اوه ، انظروا !» . فالحافة الصخرية التي امام الكهف ، كانت لها طبقة عليا ، جلس عليها ذلك الرجل وهو يدلي ساقيه العاريتين التي تمكن الاولاد من رؤيتهما بوضوح ، حدق الاولاد في الساقين بصمت لم يعجبهم منظرها ، فلقد كانت مغطاة بشعر كثيف وقذرة للغاية . شعر الاولاد ان صاحب هاتين الساقين لابد ان يكون بشعا مثل ساقيه .
لم ينبس الاولاد بكلمة ، كان قلب (جيل) يخفق بشدة ، وهي تحدق في القدمين المتأرجحتين استمر الصفير يعلو ، ولم ينطق الاولاد ، فلقد الجم الخوف

افواههم ، وكان يبدو ان الرجل لم يشعر بوجود احد غيره ، ولابد انه من النوع الذي لايرحب برؤية الاولاد . من عساه يكون ؟ انه لايبدو صيادا على اية حال ! وكيف تسنى له المجيء الى جرف الطيور ؟ حيث ان الاولاد لم يشاهدوا في طريقهم قاربا او سفينة . قال (توم) «.. لنتسلل خلف الكهف حتى لايرانا فيما لو قفز امام الكهف !».

انسل الاولاد الى خلف الكهف بهدوء تام .

توقف الصفير فجأة ، ثم سمع الاولاد صوتا يهدر : «.. انها الساعة الثانية عشرة» بعدها سمعوا اصوات اقداح زجاجية فتساءلوا : هل يستعملها الرجل ؟ وعن ماذا هو يبحث ؟ ثم سمع الاولاد صوت هتاف من الواضح ان الرجل قد عثر على شيء كان يبحث عنه . بعد برهة نهض الرجل ساحبا ساقيه الهائلتين واحدة بعد الاخرى وتخيل الاولاد ان رجلا يملك مثل هاتين الساقين لابد ان يكون عملاقا !

سمع الاولاد صوت ارتطام وتهشم ، وبعد قليل شاهدوا قطعا صغيرة تتناثر من فوق الحافة العلوية للكهف ، كان واضحا ان الرجل يغادر المكان . عاد الصفير مرة اخرى وبعدها تلاشى قليلا حتى اختفى تماما ليحل الصمت محله .

هرول (أندي) خارجا من خلف الكهف وهو ينصت باهتمام ، فلم يسمع شيئا فعاد ثانية الى اصدقائه» .. لم اعثر على شيء ، انه امر محير ، كيف استطاع هذا الرجل ان يأتي الى هنا»

ثم قال (توم) «ربما جاء عن طريق اليابسة كل من يأتي الى هنا ، لابد ان يأتي عن طريق البحر اليس كذلك يا (أندي)» ؟. اجابه أندي «.. نعم ، هذا صحيح فالجرف من ناحيته الخلفية لايصلح للتسلق ابدا فهو شديد الانحدار .» «لابد انه قد استعمل قاربا للوصول الى هنا» قال (توم) «.. لكن اين اخفى قاربه ولماذا اخفاه !؟» .

«.. لكن اين ذهب الآن ؟». سألت (جيل) «.. ربما نحو احد ممرات الجرف ؟!» .

«.. او ربما اختفى في احد كهوف الجرف حيث يعيش» . قال (أندي) «.. من الافضل ان اذهب وارى» .

«.. كلا .. لاتفعل !» صرخت (جيل) «.. لم اطمئن لمنظر قدميه ، انا واثقة من انه ضخم وقبيح ، يغطي الشعر الكثيف جسده مثل غوريللا كبيرة» .

«.. ماهذا السخف !؟» قال (توم) «ربما كان لطيفا ، انا شخصيا لم اشعر بالازدراء نحوه .» .

قال (أندي) وهو يتسلق «حسن ، سأذهب وارى ان كان باستطاعتي ايجاد المكان الذي ربما ذهب اليه. وحتى لو رآني فماذا يهم ؟ كل انسان يمكنه المجيء الى هنا ومشاهدة الطيور .»

«.. انا قادم معك .» قال (توم) «.. لقد اخذت كفايتي من الراحة ، وانتن يافتيات ستنتظرن هنا ، لن نتأخر كثيرا .»

كانت الفتاتان بحاجة للراحة ، تمددتا على الارض وهن ينصتن الى وقع اقدام (توم) و (أندي) وهما يتسلقان عبر الحافة العلوية للكهف ، ثم تمكنتا من سماع (توم) وهو يقول : «.. هنا مايشبه الممر ، تعال من هنا ، لابد وان هذا هو الطريق الذي سلكه الرجل» .

تسلق الولدان الى اعلى الممر الصخري وحين تمكنا من اجتياز الممر سمعا صخبا قويا «انه الشلال !» قال (أندي) «لابد انه ينبع من مكان قريب من هنا .» .

بعد لحظات تمكن الولدان من رؤية الشلال ، كان منظره يبعث على الرهبة . وقف (أندي) و (توم) يتأملانه بصمت .. قال (أندي) «.. توم اليس غريبا اننا لم نعثر على الرجل بعد ؟ اذ لايوجد مكان هنا يمكن ان يختبيء فيه» .

«.. لقد ذهب الى خلف الشلال حتما !» قال (توم)

«.. لا اعتقد ان بامكانه الذهاب الى هناك» قال (أندي) «.. الا ترى كم ان الشلال عنيف التدفق ، ترى من له القدرة على اجتيازه ؟» .

وقف الولدان بالقرب من الشلال الذي كان يهدر بصخب عال ممزوج بصياح النوارس بحيث كانا يضطران للصراخ ، حين يتكلمان كي يسمع احدهما الآخر . شعر توم بالحيرة ، فمن الغرابة ان ذلك الرجل الذي شاهدوا قدميه لايوجد في اي مكان هنا ، ربما سقط من الجرف !؟ ذلك شيء مروع !!..

عاد الولدان ادراجهما ، وهما في حيرة من الامر ، وحين كانا في طريقهما على امتداد الحافة الصخرية ، تلاشى صوت هدير الشلال فجأة ، فنظرا خلفهما : «.. لم يعد تدفق الشلال قويا» . قال (توم) «.. حتى المياه تبدو قليلة .. انظر !» اجاب (أندي) : «.. حقا ان قوة الماء تختلف هنا من وقت لآخر ، فمرة

يتدفق بشدة وبكميات كبيرة ، ومرة يكون ضعيفا قليل المياه» . ثم اضاف قائلا :

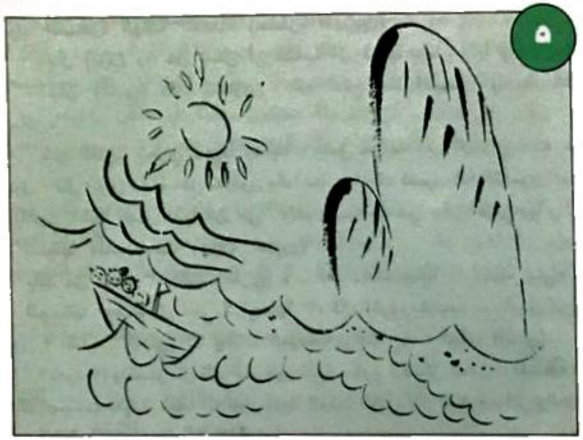
«.. لنعد ، ستقلق الفتيات لتأخرنا !» .

سار الولدان على طول انحناء الحافة وهما في طريقهما الى الفتاتين حيث كانتا تنتظران بفارغ الصبر .

«.. لم نعثر لذلك الرجل على اثر !» قال (توم) وسط دهشة اختيه «يبدو وكأنه قد تبخر في الهواء ! شيء غريب حقا !.. اليس كذلك ؟!» .

«.. نعم ، نعم !» قالت الفتاتان وطلبتا من (أندي) و (توم) ان يقصا عليهما كل ماحدث . «.. سنخبركما بكل شيء بعد عودتنا الى القارب» .. قال (أندي) «.. لقد تأخرنا وعلينا ان نسرع في العودة .. هيا !» . بدأ الجميع نزولهم الى اسفل الجرف ، وبمجرد ان اجتازوا قليلا من الطريق عادوا لسماع صوت الصفير مرة اخرى ، فكانت دهشتهم كبيرة !

«.. الصفير مرة اخرى !» قال (أندي) «اذن فهذا الرجل قريب من هنا ! ترى اين يختبيء ؟ كم اتمنى لو اعرف ذلك !» .



نهاية لرحلة موفقة

كان غريبا فعلا سماع الرجل وهو يصفر ثانية . وقف (أندي) ونظر حوله ، لكنه لم ير شيئا «.. لايمكننا العودة والبحث مرة اخرى» ثم اضاف «.. ليس لدينا وقت ، كما اننا قد فتشنا المكان كله قرب الشلال» . قال (توم) «شيء مريب حقا» .

قطع الاولاد مسافة طويلة الى اسفل الجرف حيث كان هبوطهم اسهل من الصعود ، وبعد فترة من الوقت ، كان الاولاد يقفون بأمان قرب الصخرة الرابضة القريبة من قاعدة الجرف . قفز الجميع الى ظهر القارب الساكن في ذلك الحوض المائي ، حيث قام (أندي) ومعه (توم) بتخليص القارب وسحبه من الحوض الضحل الى مياه البحر . وسرعان ما ابحروا ثانية حيث كان الجو دافئا والشمس ترسل اشعتها الجميلة . تناول الاولاد طعامهم بنهم شديد ، نظروا الى القناة المنسابة بين الصخور حيث كان الماء يجري بنعومة ، ثم حولوا ابصارهم

صوب الصخرة الهائلة المسماة (صخرة المهربين) .

سأل (توم) «.. هل يمكن ان نذهب الى هناك يوما ما يا (أندي) ؟»

اجاب (أندي) «كما تشاؤون : انه لممتع حقا الابحار الى مثل هذه الاماكن» .

كان القارب يجري خفيفا رشيقا ، يشق طريقه بين الامواج كأنه طير جميل . قال (توم) فجأة «هل تعرفون ماذا فعلت ؟! لقد نسيت آلة التصوير هناك .. ياالهي ! انها اجمل هدية من ابي ، ولقد وعدته بصدق ، ان اعتني بها والآن قد نسيتها هناك ! عند (جرف الطيور) !» .

«.. ياللك من احمق !» قالت (ماري) «.. انت دائما هكذا .. لاتهتم بشيء !»

«.. الم ينتبه احدكم الى انني لا احملها !؟» قال (توم) بغضب «.. اليس لديكم عيون ؟ اف !.. (أندي) الا يمكننا العودة الى هناك ؟» .. اجاب (أندي) : «.. ماذا ؟ نعود ؟! ونتسلق كل تلك الصخور ثانية ، توم ! لاتكن احمق ، المسافة الى هناك اصبحت بعيدة ، كما انه ليس لدينا الوقت الكافي لان الليل سياتي والعودة عند الظلام ضرب من المجازفة !» .

نظر (توم) بيأس واستكانة مما جعل (أندي) يشعر بالاسى نحوه .. «.. هيا يا (توم) ابتسم ولاتبتئس ، اعدك باننا سنعود للبحث عنها في يوم ما من ايام الاسبوع القادم وربما سنزور (صخرة المهربين) ايضا» .

فرح الجميع لسماع هذا الكلام . فكم سيكون ذلك رائعا ! لكن هل ستسمح لهم والدتهم بقضاء ليلة على القارب ؟ عندئذ سيجدون متسعا من الوقت لزيارة (صخرة المهربين) . كان الاولاد يتساءلون فيما بينهم بشأن ذلك وعيونهم تشع بالفرح .

«.. لاتتفاءلوا كثيرا !» قال (أندي) وهو يقود القارب برشاقة بين الحواجز الصخرية «هل ما زلتم تذكرون ماحدث في المرة السابقة ، حين سمحت لكم والدتكم بقضاء الليل على القارب . كنا سنضيع ونقضي العمر فوق جزيرة مهجورة .» .

بعد ان ابحروا مسافة طويلة قال (توم) وهو ينظر الى ميل الشمس نحو الغروب «.. لقد قضينا وقتا ممتعا فوق البحر ، كذلك استمتعنا برؤية الطيور والتسلق» . ثم قالت (جيل) : «.. سيكون ممتعا ايضا العودة الى هناك واكتشاف

حقيقة ذلك الرجل ذي الصفارة ، كما ارغب في استكشاف (صخرة المهربين) ، هل سيمكننا ذلك يا (أندي) ؟» . قال (أندي) وهو ينظر الى السماء «.. اظن ان الطقس يتغير قليلا واظن انها ستمطر غدا ، سيكون علينا ان نختار يوما صحوا كي نذهب الى هناك ، لان الرحلة ستكون متعبة في طقس رديء» .

وصل الاولاد قبل حلول الظلام فعلا وكانت الغيوم تتجمع حتى امطرت السماء مطرا غزيرا .

وبعد وصولهم .. شعرت والدتهم بالارتياح لمشاهدة الاولاد ، لكنها ايضا شعرت بالاستياء لفقدان (توم) آلة التصوير ، حيث قالت : «.. لابد ان تعودوا وتاتوا بها ، فهي ثمينة ولايجب التهاون في البحث عنها وايجادها ، كم انت مهمل يا (توم) !» .

«.. اني آسف جدا ياامي !» قال (توم) «.. اعدك باننا سنبحث عنها في اقرب فرصة مناسبة ..»

بدات الرحلة الثانية في صباح احد الايام التالية ، حيث اتخذ القارب طريقه باتجاه الخليج الصخري وسرعان مااختفى عن الانظار .

كانت والدتهم قد سمحت لهم قبل ذلك ، بالابحار ثانية مع (أندي) وقضاء ليلة واحدة فقط خارج المنزل وقامت باعداد طعام كثير لهم وحزم الامتعة وبعض الاغطية والفرش من اجل ذلك .

كان القارب يجري بسرعة نحو القناة الممتدة بين الحافات الصخرية ، استدار القارب حول الخليج الضحل الذي رسوا فيه في المرة السابقة ، وعادت اصوات آلاف الطيور تشق الفضاء وتتهادى الى اسماع الاولاد .

«.. سنرسو هناك ، عند ذلك الحوض مرة اخرى ..» قال (أندي) بعدها رمى بالمرساة التي راحت تنزلق بخفة الى اسفل الحوض . كان المكان يبدو كالصحراء ، ولم يسمع شيء سوى ضجيج الطيور . قال (أندي) : «.. سنقوم بنزهة هناك ، انه منظر رائع ! فربما نستطيع العثور على آلة التصوير .» . كان الجميع على اتم الاستعداد وبدأوا خطواتهم الاولى ، وهم يتسلقون نحو ذلك الكهف . سعد الاولاد بوصولهم الى ذلك المكان وفجأة اطلق توم صيحة فرح حين عثر علي آلة التصوير حيث وجدها خلف الكهف الصغير .

«.. انظروا انها هنا ! ياللحظ ! اظن ان الرجل ذا الصفارة قد ذهب ، والا

لكان قد عثر عليها واخذها» .. تناول الاولاد بعد ذلك وجبة طعام شهية وهم يتطلعون الى اسراب الطيور حيث كانت النوارس تموج مثل كتل بيض ، واصوات موائها تأتي مع الريح باستمرار .

بعد ذلك سار الجميع على طول الحافة الصخرية التي تقودهم الى خلف الكهف من جهة اليسار ، كانوا يبحثون عن الشلال الذي كان تدفقه في ذلك اليوم اقل حدة عن ذي قبل . «.. غريب !» قال (أندي) «.. كنت اظنه يتدفق بشدة ، بعد امطار الاسبوع الماضي . اتبعوني !» . نظر (أندي) ملياً إلى الفتحة التي كان ماء الشلال يخرج منها وقال : «.. اي شخص يمكنه الدخول من هنا ، واراهن ان الشخص ذا الصفارة قد دخل من هنا !» .

«.. لكن لماذا يختبيء ؟» سألت (جيل) بدهشة «.. لايوجد هنا شيء يمكن لاي شخص ان يختبيء بسببه !» .

«.. هل يمكننا الدخول ؟» سأل توم بلهفة «.. نعم اراهن باننا نستطيع ذلك ؟!»

«كلا ! لايمكن !..» قال (أندي) «افرض ان ماء الشلال قد عاد للتدفق فجأة وبشدة !؟» كان الاحتجاج يبدو واضحا من كلام توم وهو يقول : «.. لابأس ، لابأس .. لقد وجدنا التفسير للغز ذلك الرجل ، فاذا منعتنا من الاستمرار فلن نتمكن من استكشاف مخابيء الجرف ، ولا اي شيء أخر عن ذلك الرجل ، انت تضيع اوقاتنا !» .

«.. لا استطيع غير ذلك !» قال (أندي) «.. انني في مهمة ، اذهب والتقط بعض الصور مادامت الشمس ساطعة !» . لم يقل (توم) كلمة واحدة . لكنه قرر مع نفسه انه بمجرد ان تبتعد عنه انظار البقية فانه سيعود ثانية الى الشلال ليكتشف شيئا ، وليثبت (لأندي) بان له شخصيته المستقلة .

٦



توم يتمرد

«.. ارغب في النزول ثانية الى اسفل الجرف واتأمل الصخور هناك .» قالت (جيل) اثناء عودة الجميع من عند الشلال . «.. احب رؤية النهر المتدفق من تحت الصخور فالمنظر هناك يبدو مثيرا !» .

«.. نعم .. لنفعل ذلك !» قالت (ماري) «.. من الافضل ان نكون بمنأى عن الرياح قليلا فالطقس هنا بارد ايضا» .

«.. فعلا .. لنهبط الى الاسفل ثانية !» قال (أندي) ثم وجه سؤاله الى (توم) «.. هل انت قادم ؟» لكن توم كان يحمل في رأسه أفكاراً اخرى «.. كلا ، لا اظن بأنني قادم ، سأحاول التقاط بعض الصور للطيور ، سألتقي بكم فيما بعد» .

«.. حسن ، لكن حاول ان لاتتأخر» قالت (جيل) وهم في طريقهم الى الاسفل كان (أندي) يسير امامهما «.. كن حريصا هذه المرة ولاتغفل عن آلة التصوير !»

جلس (توم) وهو يراقب النوارس وطيور البحر المختلفة وهي تحلق عاليا ، ثم

تهبط وصيحاتها تدوي حول الجرف . «.. من الافضل ان التقط بعض الصور اولا ، قبل ان احاول استكشاف اي شيء ». فكر توم بذلك واتخذ مكانا حول الحافة وانتظر حتى عادت الطيور الى اعشاشها ثانية . التقط توم بعض الصور ، ثم وضع آلة التصوير خلف الكهف الصغير ، بعد ذلك سلك طريقه حول تلك الحافة الى حيث يتدفق الشلال ، كان قلبه يخفقبشدة ، وهو يعلم جيدا بأن (آندي) سيغضب لو علم بعصيانه للاوامر «.. مع ذلك ، انا في الثالثة عشرة ويمكنني الاعتماد على نفسي تماما !.» قال (توم) لنفسه وهو يصل بالقرب من الشلال حيث كان الماء لايزال يجري مثل جدول صغير .

دخل الصبي بحذر الى الفتحة التي كان الماء يأتي منها واستطاع توم ان يشاهد حافة صخرية فوق مسار الماء ، حيث تمكن من الوثوب اليها حيث اصابه بعض البلل لكنه لم يكترث .

صار الآن بمأمن من الماء ، وفجأة ! تحول جريان الماء الضعيف الى تيار هادر قوي لسبب ما ، وكاد الماء ان يسد الفتحة تماما ، ارتعد توم قليلا حين رأى ذلك ولم يشعر بالبهجة ابدا ، وفكر بانه ربما سيكون بمأمن اكثر لو توغل الى ابعد . فتح مصباحه اليدوي الكشاف ، ونظر حوله في تلك المغارة التي وصل اليها كانت مظلمة ورطبة .. «.. سأتوغل اكثر لاتمكن من استكشاف المكان بشكل افضل .» فكر الصبي وهو يشعر بالاثارة «.. فقط لكي اعثر على مخبأ الرجل ، وقد اجد .. اشياء تعرفني بشخصيته ، ربما هو مجرم هارب من العدالة !» .

بدأ (توم) بالزحف على طول الحافة الضيقة كان سقف المغارة واطئا بحيث ان (توم) كان يجد مشقة في الزحف وضع المصباح بين اسنانه ليتمكن من استخدام كلتا يديه للتشبث بالصخور وسحب جسمه خلال النفق الصخري ذاك .

كانت الحافة تمتد لعدة امتار ثم تنخفض قليلا حتى تلامس الماء . ياله من ازعاج ! الن يمكنه التوغل لابعد من ذلك ؟ تناول مصباحه الكشاف بيده وصوبه حول المكان فوجد ان نهاية الحافة الصخرية للنفق تفتتح على مكان آخر ، ربما الى كهف آخر ؟! من الافضل ان يذهب ويرى بنفسه ! .

هذه المرة كان عليه ان يجازف ويزحف في الماء قليلا حتى ينتهي من الحافة تلك ، ولقد ابتل نصفه الاسفل لكنه لم يكترث لشدة لهفته وحبه للاستكشاف ،

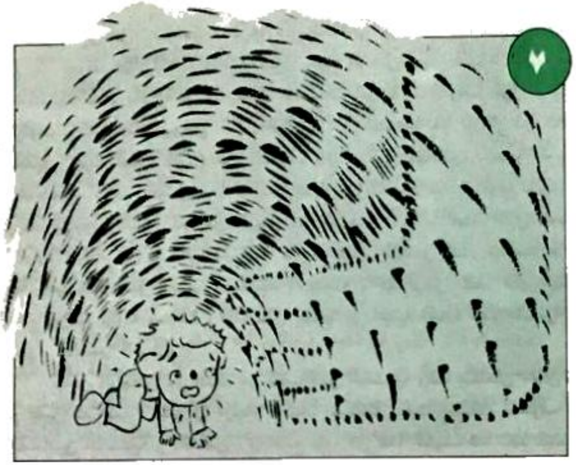
وحين انتهى ذلك ، وجد نفسه امام كهف كبير في قلب الجرف تماما .. ياللغرابة !. كان مكانا جيدا للاختباء ، لابد ان الرجل قد اختبأ هنا لكن لايوجد اثر لاي شخص هنا ! حيث الصمت يلف المكان لا اصوات لطيور ! لا ريح تعصف ، وكل شيء بدا وكأنه حلم «.. اتمنى لو كان الآخرون معي .» فكر (توم) «.. اتمنى لو كانوا يشاركونني هذه المتعة ! ساعود وآتي بهم ، لكني سابحث عن اثر ما هنا ، عقب لفافة تبغ ربما او عود ثقاب !».

صوب (توم) مصباحه حول المكان كان للكهف سقف صخري عال ، وجدران لامعة ، ولم يجد توم في نفسه الرغبة للتوغل في هذه الظلمة الحالكة ، ثم لمع شيء ما على الارض ، استطاع (توم) ان يلمحه تحت ضوء مصباحه فتساءل عما عساه يكون ؟!. كان ذلك الشيء زرا لؤلؤيا صغيرا ذا لون احمر ، من النوع الذي يستعمل للقمصان الرجالية ! نظر توم اليه بلهفة ، آه ! هذا دليل اكيد على وجود شخص ما يستخدم الشلال ويدخل الى هنا ، لكن المكان يبدو خاليا من اي شيء يستخدم للمعيشة ، تمنى (توم) بصدق ، لو كان (آندي) معه ، فلم يستطع ان يقرر شيئا سواء ان يبقى او يعود ادراجه ، كان متخوفا ان يمسكه الرجل ذو الصفارة او اي شخص آخر .

«.. لا ادري ، لكني اظن ان من الافضل ان اعود لرفاقي رغم كل شيء .» قال (توم) لنفسه «.. انه من المخيف البقاء هنا لوحدي ، فلو ابتعدت قليلا قد اضيع من الافضل ان اعود !» . صوب (توم) ضوء مصباحه ثانية حول الكهف ، فوجد فجأة ان الماء المنساب خلال النفق قد تصاعدت نسبته حتى فاض ووصل منه الى قدمي (توم) .

«.. ياالهي ! ماهذا !» قال (توم) مندهشا وهو يتأمل الماء «.. لماذا ازداد بهذا الشكل ؟» تصاعد فيضان الماء وغطى كل ارضية الكهف حتى شعر (توم) بالخوف . «.. انا اعرف مايحدث ! انه تيار الشلال ازداد فجأة لسبب ما ، ان لم اخرج الآن سأنجرف مع التيار واسقط مع الشلال الى اسفل الجرف !» . وبعد بحث قصير عثر توم على نفق عال نسبيا ، فخرج توم من الماء الذي كان قد وصل الى خصره ، وكان عليه ان يجاهد حتى يصل اليه ، زحف خلاله لعدة امتار وكان بعض الماء قد وصل الى النفق ايضا ، حيث شاهد (توم) عدة درجات صخرية تقود الى الاعلى «.. قد تقود هذه الدرجات الى كهف آخر !» . فكر الصبي «..

ذلك شيء غريب ، فهل يتوقع احد ان هذه الكهوف تقود بعضها الى بعض بهذا الشكل ؟» تسلق (توم) تلك الدرجات التي رصفت بشكل حلقات حديدية في الصخور لتساعد (كما يبدو) على تسلق المكان .. وفجأة وجد (توم) نفسه مرة اخرى خلال نفق مظلم كان ممتدا امامه ويقود ـ كما ظن (توم) ـ الى لاشيء ! «.. حسن ، اعتقد بأن علي الاستمرار !» . فكر توم وهو يستجمع شجاعته وقوته «.. لابد انه يقود الى مكان ما !» .



الكهف الخفي

نزل (توم) الى الاسفل ، كانت هناك رائحة غريبة لم تعجب (توم) ، وتمنى لو يستمر مصباحه في مساعدته وان لاينطفيء فجأة .

كان النفق ينحدر الى الاسفل بشكل ملتو ، وفتحته ضيقة وسقفه واطيء مما اضطر (توم) لان يخفض رأسه عدة مرات ، واحيانا يعلو السقف كثيرا .

استمر النفق في الامتداد الى الاسفل ، ثم فجأة تصاعدت الى انف (توم) رائحة شيء معروف ، انها رائحة دخان سجائر!. حرك (توم) انفه : «.. دخان سجائر ؟ رائع ، هناك شخص ما قريب من هنا ويدخن لفافة تبغ او غليونا ربما ! من الافضل ان استمر في الدخول بحذر !» . تسلل (توم) بهدوء وهو يحجب ضوء المصباح بكفه ثم اغلقه فجأة ! انه يستطيع ان يرى ضوءا قادما من نهاية النفق ، لابد انه يفضي الى كهف مرة اخرى . اقترب توم اكثر ، وهاهو يستطيع سماع بعض الاصوات ، اصوات رجال ! كان (توم) قد سمع احد هذه

الاصوات من قبل ! انه صوت الرجل ذي الساقين الهائلتين ! وبالطبع فان (توم) لم يكن يعرف شكله لكنه يستطيع تمييز صوته الاجش ، كان قلب الصبي يخفق بشدة لكنه شعر بالالفة لوجود بعض الاشخاص قريبا منه . وصل توم الى فتحة الكهف . كان هناك رجلان ، من الواضح ان احدهما هو الرجل ذو الشعر الكثيف حيث تمكن (توم) من التعرف على قدميه الهائلتين . حدق توم في الشخصين ، وهو يتساءل فيما اذا سيغضبان لرؤيته ، ورغم ذلك توقع بانهما لن يرحبا بوجوده ابدا . لم يكن الرجل ذو الصفارة ضخما للحد الذي تصوره الاولاد ، لكنه كان ذا نظرة فضولية غريبة ، وكان الشعر يكسو جسمه بغزارة وله راس كبير وعنق قصير ولحية حمراء شعثة ، اما الرجل الآخر فكان منظره عاديا يوحي بكونه صيادا ، لكنه كان يضع على عينيه نظارة تبدو متنافرة مع وجهه الاسمر الصارم .

جلس الرجلان على صف من الصناديق الخشبية وهما يتكلمان ، لكن توم لم يميز كلامهما ، نظر في ارجاء الكهف بدهشة حيث رصفت صفوف من الصناديق الخشبية والاقفاص ، واتضح لتوم ان هذا الكهف قد اتخذ كمخزن من نوع ما ، لكن لماذا ؟ ومن اين تأتي كل هذه الصناديق ؟ وفي احدى زوايا الكهف كان هناك رجل او اثنان ممددين على فراش خشن ، وتساءل (توم) ماالذي يجبر هؤلاء على العيش في مكان كهذا ؟ لكنه تأكد من شيء واحد : ان كل مايفعلون يبدو مريبا !.

حاول (توم) جاهدا سماع مايقوله الرجلان ، لكنه لم يتمكن من التقاط كلمة واحدة ، وفكر بانهما ربما يتكلمان لغة اجنبية ! حيث كان يبدو لـ (توم) ان الرجل ذا النظارة ، لابد ان يكون اجنبيا لغرابة مظهره !.

نظر احد الرجال الى ساعته ثم نهض وضرب براسه كتف زميله . ثم نزلا عبر نفق في ارضية الكهف لم يتمكن (توم) من تمييزه جيدا ، كان يبدو وكأنه يهبط الى الاسفل مباشرة ، ثم اختفيا تماما !. انتظر توم عدة دقائق ، ثم قفز الى ارض الكهف بحذر شديد ونظر الى اسفل الفتحة ، لم يتمكن من رؤية شيء فلقد اختفى الرجال هناك ، ولم يشعر توم بالرغبة في تعقبهم لسبب واحد فقط : انه لم يعرف كيف ينزل الى هناك ! نظر حوله بامعان فوجد ان جدران الكهف لاتكاد ترى لكثرة الصناديق المرصوفة اليها صناديق من مختلف الالوان والاحجام ، ماذا

يمكن ان يوجد بداخلها ؟..

كان الرجلان قد تركا فانوسا مشتعلا على احد الصناديق عند منتصف المسافة داخل الكهف ، هل يعني بانهم عائدون مرة اخرى ؟! شعر (توم) بالخوف اذ لابد ان يهرب قبل عودتهم الى هنا .

لكن الى اين يهرب ؟ وقف (توم) مذهولا يفكر ، حينها سمع صوتا عميقا قادما من الجهة اليسرى للكهف «انه صوت مياه !» قال (توم) لنفسه «ما عساه ان يكون ؟». كان هناك صف من الصناديق الى يسار الكهف ، اقترب (توم) منها وتامل في جدار الكهف الذي خلفها ، كانت هناك فتحة في الجدار قريبة من مستوى ركبتيه حيث كان الصوت يأتي من هناك ، ادخل (توم) راسه في الفتحة ، وفتح مصباحه فرأى منظرا غريبا ، انه نهر داخلي !.

«ماهذا ؟» فكر (توم) مع نفسه «.. لابد انه يتدفق الى اسفل الجرف ، ولو تتبعته لوصلت الى هناك !» . وقف توم يتأمل جرى النهر بدهشة بالغة كان التيار القوي المظلم يجري بسرعة ، عاد (توم) مرة اخرى الى الكهف وتمنى لو يجد مصباحا يدويا يأخذه معه فيما لو تعطل مصباحه عن العمل . وقبل ان يجد شيئا من ذلك سمع صوت اقدام تتسلق وكان الصوت قادما من فتحة الهوة التي عند ارض الكهف فتح (توم) عينيه جيدا ، فوجد امامه الرجل ذا الساقين الكثيفتين واللحية الحمراء الكثه ، حيث كان يخرج من عند الهوة .

حدق (توم) في وجه الرجل بخوف وهو يتراجع الى الوراء غير مصدق عينيه ! اما الرجل فلقد كانت دهشته اعظم وراح يصرخ «.. ماذا ! ولد ؟.. ولد في الكهف ! لابد انني احلم !» .. بلع (توم) ريقه بصعوبة محاولا ان يقول شيئا ، لكنه لم يفكر فيما يمكن ان يقوله «ماذا تفعل هنا ؟» جاء صوت الرجل الأجش ! لم يأت (توم) حراكا ، حيث تسمرت قدماه في الارض وهو يراقب الرجل الضخم ذا العنق القصير وهو يسحب نفسه من الفتحة ويأتي باتجاه توم . كاد صواب (توم) ان يطير ، وفجأة وجد في نفسه القدرة على الحركة .

ركض مسرعا الى ناحية الصناديق حيث وضع الفانوس فتدحرجت الصناديق ومعها الفانوس وتهشم مرة واحدة ، ثم انطفأ نوره ، فغرق الكهف في ظلام دامس .

كان يبدو ان الرجل قد بدأ يتخبط وهو يبحث عن شيء يستنير به ، وتأكد

توم بان تلك هي فرصته الوحيدة للنجاة فركض الى حيث يجري النهر الداخلي !

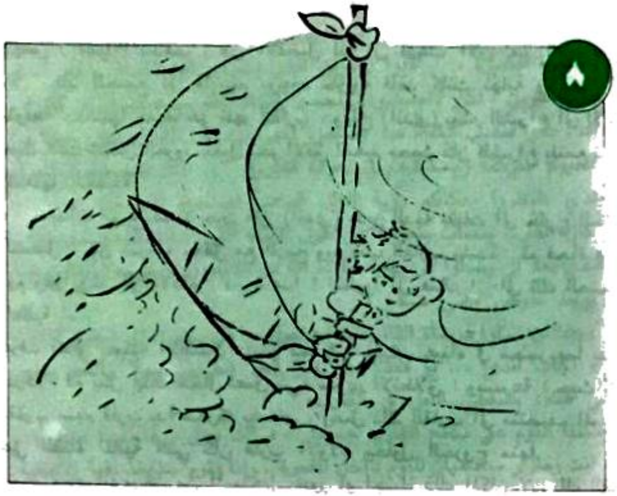
وصل (توم) الى هناك وهو يتمنى لو يجد حافة صخرية او صخورا ناتئة يمكنه التشبث بها فتح مصباحه فلم يجد امامه سوى الظلام والنهر فالقى بنفسه الىّ النهر من شدة الخوف لئلا يتبعه ذلك الرجل !

حمل التيار المنساب بخفة جسد (توم) بسرعة حيث كان مجتهدا في ان يترك جسده يطفو ، لكنه كان يرتعد من البرد ، دائم التفكير بمصباحه الذي لن يعمل بعد الآن وقد ابتل بالماء . «ربما هو الضياع الى الابد !» . قال توم لنفسه بحزن واسى . «.. اوه .. هذا جزائي لانني خيبت امل (آندي) فيَّ ، لن اتمكن من الخلاص ابدا ، اوه ! ماأشد برودة الماء !» . كان الماء يتدفق خلال قناة داخلية ، لم يتمكن (توم) من رؤية ما اذا كان النهر يمر من خلال كهوف ام لا ، كان عليه ان يستمر مع جريان النهر محتفظا بتوازن جسمه ، وان لايميل حتى يتفادى الارتطام بصخرة ناتئة او اي شيء آخر . ورغم حرصه فلقد ارتطمت احدى ساقيه باحدى تلك الصخور واصيبت بكدمة مؤلمة فصرخ ! لكن احدا لم يسمع صراخه فراح يعض على شفتيه من شدة الالم ، كان يشعر بالبرد والتعب ايضا ، حين داهمه الاحساس بانه لن يتمكن من الصمود اكثر ، رأى نورا يسطع امام عينيه .. نورا واضحا ، فامتلأ فرحا ! «.. ضوء الشمس !.. انه ضوء الشمس ! لقد اقتربت من مصب النهر !» . كان ذلك ضوء الشمس فعلا ، ورغم ارتياح توم لذلك المنظر الا انه فقد توازن جسمه من شدة الاعياء فاخذه التيار فوق امواجه المتلاطمة ، وكان (توم) يكافح بكل مابقي له من قوة ليتمكن من ابقاء راسه خارج الماء .

اخيرا وصل به التيار الى حيث يلتقي النهر بالبحر ، فحملته موجة كبيرة غاضبة والقت به على الصخور المجاورة .

ولايدري (توم) كم مر من الوقت عليه وهو على هذه الحال ، الا انه حين فتح عينيه رأى اختيه و(آندي) وهم ينظرون اليه بدهشة .. حينها هتف : «.. مرحبا .. اني سعيد لرؤيتكم .. سأروي لكم ماحدث ، ولكن هل بقي لديكم طعام ؟ اني اشعر بجوع رهيب !» .

٨



في طريق العودة

بدا (توم) يشعر بالتحسن وبدا وكأنه بطل خرافي ! صحيح انه تمرد على اوامر (آندي) لكن الامور سارت على مايرام وحصيلتها استكشافات عظيمة !

«اظن بان علينا ان نعود الآن !» قال (آندي) «.. سيصاب توم بالبرد بعد الذي حصل له ، من المؤسف ان نصل برحلتنا الى هذه النهاية المحزنة !». قال (توم) وهو مطرق رأسه «.. اوه (آندي) ! لاتبالغ .. نحن الآن بخير تماما !» «على اية حال ، الا تظن بان الوقت متأخر للعودة ؟» قالت (جيل) موجهة كلامها لآندي نظر (آندي) الى شمس المغيب وقال «.. لكن الرياح في صالحنا وضوء الشمس الآن يكفينا لاجتياز خطورة المياه هنا ، وقد يكون الرجلان في طريقهما للبحث عنا كما اتوقع» . «..اف !» قال (توم) «كيف اسيء الى الامور بهذا الشكل وان افسد رحلتنا الجميلة ؟!»

كان (آندي) حين يعتزم تحقيق امر ما فانه لايتراجع ، قال للجميع وهو

ينهض : «هيا ! لنذهب ، من الافضل لنا ان نذهب الآن !»

عاد الجميع الى قاربهم بوجوه حزينة فلقد كانت نهاية رحلتهم غير متوقعة ، جلسوا جميعا على ظهر القارب ، وراح (أندي) ينشر الشراع الى الاعلى حيث كانت شمس الغروب تميل نحو الافق البعيد بحيث كان الشراع يلتمع تحت اشعتها الخفيفة .

بدات الريح تشتد حين كان (أندي) يدير الدفة بثبات الى خارج الخليج الضحل ، كان شراعه يخفق مع الريح ويسحب القارب بشدة . ثم فجاة هتف توم وهو يؤشر الى الامام : «.. ماهذا ؟ انظروا الى هناك !.. الى تلك الصخور العالية !» .

عرف أندي بعينيه الثاقبتين ماسان يحدث ، فثبتت عيناه في محجريهما بدون حركة . لم يكن هناك مجال لعمل شيء سوى الانطلاق ! وبسرعة ! حيث كان يقترب منهم قارب بدأ محركه يشتغل ، وصل ذلك القارب الى منتصف المسافة على القناة المائية التي كان قارب الاولاد يحاول الخروج منها .

وجد أندي ان من المستحيل عبور او اجتياز ذلك المكان لان تلك القناة كانت ضيقة للغاية وتجري بين حافتي صخور عالية . كان يقف على ظهر ذلك القارب ذي المحرك رجل طويل غريب الهيئة وراح يصيح : «.. من انتم ؟ وماذا تفعلون هنا ؟» .

«.. لاشأن لك بذلك !» اجاب أندي بصيحة مماثلة «ابتعد عن طريقنا !» .

«.. دع قاربك يقف وانزلوا الينا» امر ذلك الرجل الويل .

«.. أندي .. ارجع الى الخلف ، لن الى الجرف الصخري ..» توسلت جيل الى أندي وهي مذعورة .

وقف رجل أخر بجانب ا جل الطويل وبدأ هو ايضا بالصياح على (أندي) ورفاقه ، وفجأة حدث شيء يث مرت بهم موجة عالية كبيرة وحملت القارب ذا المحرك بعيدا ، وعلى حين لة ارتطم القارب ذاك بصخرة ناتئة ، حيث سمع الاولاد صوت ارتطام قوي ، ثم سقط الرجلان عن ظهر القارب ، واختفيا تماما !.

«انها فرصتنا الآن» قال أندي «سنعود ادراجنا ، لكن ليس الى (جرف الطيور) حيث يتوقعون العثور علينا بل .. الى (صخرة المهربين) !..» .

كان القارب يستدير ويعود من حيث اتى ، ولكنه استمر في الابحار نحو تلك الصخرة الكبيرة «.. راقبوا الطريق الذي تنساب اليه القناة .» قال أندي «انه طريق طويل ، لكن لاتبتئسوا» ولحسن الحظ فلقد ساعدهم التيار كثيرا ، بعد ذلك وجدوا مصب القناة عند (صخرة المهربين) كان القمر يظهر احيانا من خلف الغيوم المتركمة ويساعدهم في معرفة الطريق . «.. ذلك سيساعدنا كثيرا» قال أندي «انظروا يمكنكم رؤية الظل الباهت لصخرة المهربين» .

كان القارب ينساب بنعومة على طول القناة التي بدات تتسع تدريجيا . وفكر أندي بعد ان وصلوا الى نهاية القناة انه من الافضل ان يرسوا القارب هنا حيث يوجد حوض مائي صغير .

وبعد ان انزلوا مرساة القارب سألت جيل «.. هل سننزل الى الجزيرة ؟» .. «كلا !» اجاب أندي «.. لو فعلنا ذلك فلن نجد الطريق سهلا والقمر يظهر ويختفي هكذا سنقضي الليل في القارب» .

«هل يمكننا النوم على سطح القارب جميعا ؟» سألت جيل .. فاجابها أندي «.. كلا .. انت وماري ستذهبان للنوم داخل القمرة ، وانا وتوم سنأخذ بقية الاغطية وننام على سطح القارب» . ذهبت التوأمتان الى داخل القمرة ، ثم تناول الولدان بقية الاغطية ثم ذهب الجميع الى النوم .

قرر أندي ان يتولى فترة الحراسة الاولى ويوقظ توم بعد ذلك ليتسلم الفترة التالية وهكذا ، يالها من مغامرة غريبة !!.



صدمة كبيرة

في الصباح كانت جيل تقف على صخرة عالية ، تراقب نزول توم وأندي اللذين ذهاب لمراقبة المكان حولهم ، وحين استدارت جيل لتعود الى حيث وقفت ماري انزلقت قدمها داخل اخدود داخل الصخور فسبب لها ذلك الما شديدا ، ثم جلست على الصخرة والدموع تنساب على خديها . «.. ماذا هناك ؟ هل اصبت باذى» سأل أندي وهو يجلس على ركبتيه بالقرب منها «.. اوه جيل ، كيف تنزلقين فوق مثل هذه الصخور ؟». «.. اعلم ذلك ، اوه !.. أندي كاحلي يؤلمني بشدة ! ماذا عساي ان افعل ؟» . قالت جيل المسكينة بألم واضح «.. لست طفلة حتى ابكي ، لكني لااستطيع مقاومة ذلك !» .

كانت ماري على وشك ان تبكي وهي تجلس بالقرب من جيل . كان الحزن باديا على وجه أندي وهو يقول «.. لا اظن ذلك خطيرا ، ليس سوى التواء بسيط ، ستكونين على مايرام حالا»

«لنسحبها الى جانب هذا الحوض» قال توم وهو يشير الى حوض مائي كبير بين الصخور «لننزل قدمها الى الماء فان برودته ستساعدها في التخلص من الالم» . وبالفعل شعرت جيل بالتحسن وعاد وجهها للتورد مرة اخرى .

جلس الجميع حول ذلك الحوض يتكلمون ، وكان اندي يراقب المكان بذكاء وانتباه وكان قد اخبر الفتاتين وتوم بشأن ضوء راه يتوهج خلال حراسته عند منتصف الليل . بعد برهة قصيرة شعرت جيل ان بامكانها السير حيث ساعدها اندي على النهوض ولكن بمجرد ان وضعت قدمها المصابة على الارض ، صرخت من شدة الالم .

«.. لا اظن ان باستطاعتي ذلك ليس الآن على اية حال» .

«حسن ، يمكنك ان ترتاحي لفترة اخرى» قال اندي محاولا ان لايبدو عليه القلق كان يتوق بشدة للعودة الى القرية وهو ينظر الى الصخور الممتدة الى حيث يقف قاربهم . نظر الجميع حول المكان ، كانت صخرة المهربين تبدو ساكنة وحيدة «.. اتمنى لو اصعد مباشرة الى القمة كي ارى كيف يبدو المنظر من هناك» قال توم بلهفة .

«.. لن يمكنك القيام بعمل كهذا» قال اندي بحدة ثم اعقب «لقد تورطت في مأزق لطيف يوم امس ولااريدك ان تتورط في مثله هذا اليوم» .

مضى وقت طويل قبل ان تتمكن جيل من وضع قدمها بصعوبة على الارض ثانية .

«انها الساعة العاشرة والنصف تقريبا» قال اندي «يمكنك الاستناد على كتفي وكتف توم ، فمن الافضل ان نعود الى القرية الآن .» . حاولت جيل ان تضع قدمها على الارض ، واستطاعت ان تفعل ذلك بنجاح بمعونة توم وأندي ولقد تدبرت الامر بشكل جيد . بدأ الاولاد يجدون في سيرهم الى حيث يوجد القارب وحاولوا ايجاد اسهل الطرق ، ذلك ان جيل لن يمكنها طبعا القفز أوالوثوب ، ثم وصلوا اخيرا الى ذلك القعر الضحل حيث يوجد القارب ، لكنهم انتبهوا فجأة الى فقدان شيء من القارب ! ماهو ؟.. قال توم : «.. اين الشراع ؟!.. لقد كان هنا ! اين هو ؟» لم يقل أندي شيئا لكن عينيه الثاقبتين كانتا تتفحصان القارب من مقدمته حتى المؤخرة ، ثم خفق قلبه بشدة .

«.. هل تعلمون ماحدث ؟ لقد جاء شخص ما واخذ الشراع وكذلك المجذاف ايضا !» .

«.. لكن ، أندي ، كيف سنتمكن من العودة الآن» قالت جيل وهي تبدو شاحبة .

«.. اخشى ان الامر كذلك» قال توم وهو يساعد جيل على الجلوس فوق سطح القارب نظر حوله ثانية لكنه لم ير احدا ، من تراه قد اخذ الشراع والمجذاف ؟!..

«شخص ما قد جاء الى هنا ، حين كنا نتسلق الى تلك النقطة العالية» قال أندي «شخص تعمد ذلك لابقائنا هنا . آه لو اتمكن من امساكه بيدي !» . ثم بعد قليل قال (أندي).. «.. يجب ان نقرر البقاء هنا فترة ، وعلينا ان نقوم باخراج امتعتنا وطعامنا من القارب توم ! سنحاول ايجاد مأوى صغير هنا عند (صخرة المهربين) في كهف او ماشابهه وان نرتاح بقدر مانستطيع» .

«.. مثل ركاب تحطمت سفينتهم والقت بهم الامواج الى هنا !» قالت ماري وهي تشعر بالابتهاج «.. هذه الاشياء تبدو مضحكة وغريبة في نفس الوقت ، هيا لنحاول ايجاد ملجأ صغير !» .



الملجأ الصغير

ترك الجميع جيل جالسة على سطح القارب لان كاحلها يؤلمها ، لكنه كان افضل من ذي قبل ، كانت تبدو حزينة لعدم تمكنها من مساعدتهم «.. لكن لماذا لايمكننا النوم داخل القارب ؟» سألت جيل باستغراب «.. كما فعلنا الليلة الماضية !» .

«.. سنشعر بالراحة اكثر لو استلقينا على ارض رملية بمنأى عن الرياح» قال أندي «.. سنحاول ابقاء القارب تحت انظارنا ياجيل ، فلا تخافي من البقاء لوحدك هنا اذ يمكننا مراقبتك طوال الوقت .»

بدأ الثلاثة بحثهم عن المأوى المطلوب ، كانوا يسيرون فوق الصخور وهم يراقبون القارب . قال أندي «.. لا اظن ان باستطاعتنا الذهاب الى تلك النقطة العالية ، لاننا لن نتمكن من مشاهدة جيل ومراقبتها من هناك ، لست ارى مكانا منفردا ، هل وجدتم شيئا ؟»

فاجاب توم «.. كلا ، فكل الاماكن تبدو غير مريحة ، وبمواجهة الرياح حسبما اعتقد . لنذهب ونلق نظرة على الجانب الآخر ، واظن ان من الافضل ان نبحث في الاعلى لان مد البحر قد يرشق هذه الصخور التي نقف عليها» .

«.. نعم .. هو كذلك» قال (أندي) «.. يمكنكم رؤية بعض الطحالب هنا وهناك» .

ثم اضاف توم «.. يبدو الطقس جميلا هذا اليوم رغم البرد ، انظر أندي لنتسلق الى تلك الحاشية العريضة فهي تبدو ظليلة ، ويبدو ان خلفها كهف صغير ..» .

كان هناك كهف خلفها بالفعل ، وعلى فتحة الكهف تتدلى سيقان بعض النباتات وجذورها حتى تلامس الارض حتى كانت تبدو كبوابة للكهف ، زحف الاولاد حتى تمكنوا من الدخول اليه فوجدوه فسيحا وذا رائحة نظيفة ، قال أندي : «.. يمكننا ازالة بعض هذه النباتات المتدلية لنتمكن من رؤية البحر ..»

«.. نحن امام منظر رائع !» قال ماري ثم انبطحت على بطنها لتتمكن من رؤية البحر بشكل افضل «.. يمكنني رؤية القارب من هنا ، جيل لاتزال جالسة حيث تركناها ، انظروا ! يمكن رؤية جرف الطيور ايضا والقناة المائية التي بين الصخور ..»

«.. يمكننا اذن رؤية اي شخص قد ياتي لانقاذنا» قال توم «اليس كذلك ؟»

«..هذا الكهف ممتاز !» قال أندي «.. سنذهب ونأتي بحاجياتنا ، هيا ياتوم ..»

خرج الجميع عن طريق فتحة الكهف الضيقة زحفا ثم وقف أندي وقام بازالة بعض الجذور المتدلية ، حيث اصبحت الفتحة اوسع من قبل بكثير .

عادوا ثانية الى القارب فرحين بعثورهم على ذلك الكهف القريب ، حيث بادرتهم جيل : «.. اشعر بتحسن كاحلي ، يمكنني مساعدتكم في نقل حاجياتنا الى هناك» .

«.. كلا ، لايمكنك ذلك» قال أندي «لترتاح قدمك اكثر ، نحن نكفي» .

اعدت جيل الموقد النفطي ليأخذوه معهم ، وقام البقية بنقل كل شيء من القارب الى الكهف قالت ماري بلهجة معارضة : «.. اليس سخفا ان ننقل كل شيء ؟ لقد بدأت اشعر بالتعب ، اليس كذلك يا أندي ؟» .

«قومي بما يأمرك به قائدك !» صرخ توم في وجه ماري «.. صه ! انت آخر من يتكلم» صرخت ماري بعصبية : «لولا عصيانك لاوامر أندي لما تورطنا هكذا» .

«.. انت تعبة ياماري» .. قال أندي «توقفي عن نقل اي شيء ، سأتكفل انا بذلك عودي الى جيل وساعديها في الاشياء البسيطة ، اشعر بانها قد تظاهرت بالتحسن كي تقدم لنا يد العون ، لكني لا اظنها قد تحسنت بسرعة هكذا !» .

بعد ذلك اسرع الجميع باتجاه الكهف ، مضى وقت قصير ثم قال أندي فجأة : «هناك شخص ما قادم من الناحية اليسرى للقعر المائي ، هناك بالقرب من تلك الصخرة الكبيرة ، نعم ، انه يسير باتجاه القارب ، لنعد ثانية الى الداخل نراقب مايجري ومن دون ان يرانا احد !» . وبقلوب مرتجفة انسل الاولاد الى داخل الكهف واستلقوا على بطونهم بالقرب من فتحة الكهف ، وراحوا يحدقون الى الاسفل ، شاهدوا رجلا يبدو كأنه صياد ، كان يرتدي جزمة صيد كبيرة .

«.. انه ذاهب الى القارب !» قال توم : «.. ماذا عساه يفعل ؟!» .

كان الاولاد وهم يراقبون ذلك الرجل قد كتموا انفاسهم تقريبا ، كان يسير فوق الصخور باتجاه القارب وكان طويلا ، ضخم الجثة ، لون بشرته قاتما ، ولحيته سوداء . «.. هل تعرفه ياأندي ؟» ، همس توم في اذن أندي الذي راح يهز راسه نافيا ، «.. كلا لم اشاهده من قبل ، انظروا ! لقد صعد الى القارب ..» .

سمع الاولاد صوتا بعيدا ينادي عليهم ، وحين لم يجبه احد ، ذهب نحو باب القمرة وفتحها فلم يجد احدا بالطبع . ولابد بانه انتبه الى خلو القارب من كل الحاجيات .

دخل ذلك الرجل الى القمرة ثم خرج ثانية ووقف على سطح القارب ينظر حوله . «انظروا ! هاهو شخص آخر قادم !» همس توم : «هناك من نفس الطريق التي جاء منها الاول ، ياله من رجل قصير غريب الشكل !..» .

كان الرجل الثاني مثلما وصفه توم ، قصيرا ، مقوس الساقين ، يسير وكأنه جالس على ظهر حصان ، وراح ذلك الرجل ينادي صحبه . بدأ الرجلان بالتحدث الى بعضهما ، نظر الرجل القصير حوله ، كان أندي يشعر بالغضب الشديد لوقوفهما على القارب ، وكان يتمنى لو ينزل ويبعدهما عنه !.

صعد الرجلان الى اعلى المنحدر الصخري قليلا ، ونظرا الى الصخور حولهما عسى ان يجدا الاولاد . «من الافضل ان نعود الى داخل الكهف تماما ..» قال أندي «فقد يشاهدا رؤوسنا من هذه الفتحة» . انسحب الاولاد الى داخل

الكهف ولزموا الهدوء وهم يسمعون خطوات الرجلين وهما يتسلقان بالقرب من المخبأ .

«.. لابد من وجود كهف في مكّان ما هنا !» سمع الاولاد صوت الرجل القصير يقول ذلك «.. اتذكر بان كلبي كان قد دخل في احداها ذات مرة ، ربما اختفوا هنا» .

«.. سنرى ذلك» قال الرجل الاسمر وخطواته تدنو اكثر ، وفجأة ! تمكن الاولاد من رؤية قدميه من خلال الفتحة ، كانت قلوبهم تكاد تتوقف هلعا ، لكن الاقدام ذهبت الى الناحية اليمنى ، ثم تبعتها قدم الرجل القصير ، لكنه توقف امام فتحة الكهف !.

«انا متاكد ان احد هذه الكهوف موجود هنا !» قالها بصوت اجش «انظر ! ماهذا ؟» .

ثم رفس مدخل الكهف باحدى قدميه وانحنى لينظر الى الداخل فلم ير شيئا . «.. لايمكنهم الاختباء هنا .» قال الرجل الاسمر «.. لايمكن لاحد ان يدخل من هنا .»

ارتاح الاولاد وهم يشاهدون اقدام الرجل القصير وهي تبتعد عن مدخل الكهف .

تنفسوا الصعداء اخيرا ! لكنهم لم يجرأوا على الاتيان بحركة مهما كانت صغيرة . ثم سمعوا بعد ذلك مزيدا من الصيحات والكلام ، ثم هدأ كل شيء فجاة . بعد ذلك سمعوا الرجل الاسمر وهو يقول بعد ان نفد صبره :

«.. اقول لك ياباندي ان علينا ايجاد اولئك الاولاد . فلو ياتي شخص لانقاذهم فسيعطونه اشارة ما ، وهم يعرفون الكثير عنا ، يجب ان نجدهم» .

«.. لقد رايت بنفسك انهم ليسوا هنا» قال الرجل القصير «.. لقد نقلوا كل حاجياتهم ولابد بأنهم قد ذهبوا الى الناحية الاخرى» . فأجابه الآخر : «.. لا اظن ذلك ، سيلقون المتاعب هناك ، كلا ! لم يذهبوا بعيدا ياباندي اذ لايمكنهم نقل كل حاجياتهم بعيدا عن هنا .» .

وقف الرجلان بجانب الكهف مرة اخرى وسمع الاولاد الرجل الاسمر وهو يهتف : «.. انظر ! ماهذا ، بقع من الزيت ؟ من تركها هنا سوى الاولاد ؟!» .

«ياللهول !» همس آندي من وراء اسنانه المطبقة وتذكر كيف سقط منه الموقد

حين تعثر بصخرة بالقرب من مدخل الكهف بعد ان احضره من القارب .

قال احد الرجلين : «سأشعل عود ثقاب وانظر الى داخل الكهف !» ثم ركع احدهما على ركبتيه حتى وصل رأسه امام فتحة الكهف ، اخرج علبة كبريت واشعل عودا منها ، ثم اطلق صيحة خبيثة : «.. هيه ! هاهم جميعا ، جاثمون مثل جرذان في جحورها ، هيا اخرجوا جميعا ، هيا !» .

لم يقل الاولاد شيئا ، جثم الرجل الاسمر على ركبتيه هو الآخر وقال بلهجة مريحة : «.. الآن اخرجوا ، لن نؤذيكم ، فقط نريد رؤيتكم ، هيا ياأولاد !» .

«.. لن نخرج !» قال آندي ثم ، وبعد لحظات صمت صاح الرجل القصير : «هيا ! اخرجوا !.. انتم .. انتم يايا ....» .

«يكفي هذا ياباندي !» قال الرجل الاسمر ثم قال للاولاد : «كم عددكم ؟» .

«.. اربعة !» اجاب آندي «وانتبه الى ان اي منكما سيحاول ادخال رأسه سوف يتلقى ضربة بالموقد عليه !» .

«.. هذا ليس اسلوبا للكلام» قال الرجل الاسمر بعد لحظة صمت «لن نؤذيكم بل نريد اخذكم الى مكان ترتاحون فيه اكثر» .

«لن نشعر براحة اكثر مما نشعر بها هنا ، شكرا لكما !» قال آندي بأدب جم .

«.. هل ستخرجون ام ادخل لاخراجكم عنوة ؟!» صاح الرجل القصير فجأة .

«ادخل ان شئت !» قال آندي .

«.. اتركهم ياباندي !» قال الرجل الاسمر وهو ينتصب واقفا «.. صغار اغبياء ، نحن نستطيع اخراجهم بسهولة متى شئنا !» .

«.. كيف ؟» سأل باندي

«مهلا .. وسوف ترى !» قال الرجل الاسمر ، فتساءل الاولاد عما يقصده .

«حسن .. سنخرجهم متى قررنا ذلك» قال باندي وهو يقف ايضا «انا تحت امرك ايها الرئيس !» .

«يمكننا تركهم هذه الليلة» قال الرجل الاسمر وهو يتمشى بعيدا .

عم الصمت المكان مرة اخرى وكانت الظلمة تملأ الكهف الآن ، فلقد حل الغروب . شاهد الاولاد بعض الضوء فجلسوا بصمت لفترة من الوقت دون ان يسمعوا شيئا ، وا، برا ، خرج آندي من فتحة الكهف : «.. لست ارى شيئا

عند القعر ، الظلام شديد ، وليس من اشارة تدل على وجود الرجلين .. كيف يتوقعون ان نخرج اليهم ؟ اغبياء !!.» .

وبعد عودته ثانية الى داخل الكهف اطفأ أندي المصباح فحل الظلام في ارجاء الكهف ثانية وانتشر الصمت ، الا من صوت خفيف هو تنفس الاولاد النائمين .



أشياء كثيرة تحدث

حين صعدت الشمس في الافق استيقظ الجميع ، جلست « جيل » بتململ وقالت بخوف :

«اين انا ؟!» .

«ماهذا السخف ؟. انت في الكهف طبعا .» اجابت ماري «انه ضوء النهار ثانية ، اشعر بنشاط كبير ، اقترح ان نأتي بالموقد لنغلي بعض الماء ونعمل شراب الكاكاو .»

كان توم منبطحا على بطنه عند فتحة الكهف كي يتنفس بعض الهواء المنعش . ثم نظر الى القعر المائي الضحل نحو الاسفل ، واطلق صيحة مدوية جعلت الجميع يقفزون :

«ماذا جرى ؟ ماالامر ؟!» سأله الجميع . فاجاب بفزع :

«قاربنا .. لقد اختفى .. ليس في مكانه حيث تركناه !!».

نظر الجميع نحو القعر مرة اخرى فوجدوا الامر مثلما اخبرهم توم .. لم يعد القارب هناك ! كان أندي يبدو يائسا فلم يتفوه بكلمة ، وشعر توم بما كان يدور في خلد صديقه : «.. اوه ! أندي ! لااظنك تفكر بان اولئك الرجال قد قاموا باغراقه ! من المؤكد بأنه لايوجد من يمكنه القيام بعمل جبان كهذا !» .

بقي أندي واجما لايقول شيئا ، ترك الآخرين ومضى الى داخل الكهف حيث راح يلهي [illegible] بايقاد الموقد ووضع ابريق الماء عليه «.. مسكين أندي !» همست جيل والدموع تملأ عينيها : «.. اليس ذلك رهيبا ؟.. توم ! لماذا يجب على اولئك الرجال القيام باغراق قاربنا ؟»

«.. الابريق يغلي !» جاء صوت أندي من الداخل .. «هيا لتعملي لنا الكاكاو ياجيل» .

قامت جيل لاعداد الكاكاو وهي تعاني من تأنيب الضمير لانها تسببت في تاخير رحيلهم لسقوطها والتواء كاحلها . ولكي تعوض عن ذلك دأبت على مساعدة اندي وادخال السرور الى نفسه بكل وسيلة ممكنة ، ولتثبت له اسفها وندمها . حيث كانت تعلم جيدا ماذا يعني القارب لـ أندي . بدأ الاولاد يتناول الافطار حين قال أندي :

«.. لابد ان ابي في طريقه الآن لانقاذنا . لابد بأنهم انتبهوا الى تأخرنا وعدم عودتنا امس .»

وبعد برهة انتبه الاولاد الى بعض الاصوات ثم شاهدوا الرجلين قادمين مرة اخرى . قال أندي : «لن يتمكنوا من اخراجنا ، مساكين ! لايمكنني تصور حالهم وهم يخاطرون بالزحف عبر المدخل منبطحين على بطونهم ليصبحوا بعدها تحت رحمتنا !» .

«.. انظروا ! لقد اقترب اولئك الرجال !» هتف توم .

كان الرجل ذو اللحية ، والرجل ذو الساق القصيرة ومعهما رجل آخر تعرف توم على هيأته : «انظروا ! ذلك الرجل الصياد ذا النظارات ، انه احد الذين رأيتهم في الكهف يوم امس .»

شعر أندي بالاستفزاز . كان خائفا لاختفاء قاربه ، وهو الآن جاهز لدفع اي منهم على الصخور ، كان خائفا على الفتاتين ايضا فهما امانة في عنقه ، وهاهم الآن في ذروة الخطر ، ولقد صمم أندي على ان يقاتلهم بأي سلاح كان

لو حاولوا الدخول . حضر الرجال الثلاثة الى الكهف حيث نادى احدهم : «حسن ياأولاد ، هل انتم اكثر تعقلا هذا الصباح ؟» .

لم يتكلم احد من الاولاد . عاد الرجل ينادي مرة اخرى ، وقد نفد صبره : «هيا اخرجوا ،آن لن يؤذيكم احد ، لاتضطرونا لارغامكم على الخروج !» .

لم يأت اليه جواب ، ثم مضت برهة قصيرة قبل ان يصدر احد الرجال امرا مستعجلا : «دعها تشتعل ياباندي !» .

وضع باندي شيئا امام مدخل الكهف . كانت تبدو نوعا من العلب ، لم يجد الاولاد الوقت الكافي كي يحزروا ماهي ، حيث كانوا يراقبون كل مايجري بصمت تام : اشعل باندي عود ثقاب وقرب لهبه من العلبة فراحت تشتعل ودخان كثيف يخرج منها ولسوء الحظ فلقد كانت الريح بمواجهة الكهف ذلك الصباح مما جعل الدخان يدخل سريعا نحو الكهف ، كان توم اول من وصلت اليه الرائحة فانتابته نوبة سعال شديدة : «اللعنة !» قال أندي فجأة : «انهم يحاولون اخراجنا عنوة وكأننا حيوانات وحشية !»

ازداد الدخان كثافة وكانت رائحته قوية وحادة ، لكنها لم تكن مؤذية . بيد ان الاولاد لم يكونوا يعلمون ذلك فتملكهم الرعب .

«علينا ان نخرج الآن !» قال أندي بغضب «ذلك سيء للغاية وانتما يافتيات كونا بالقرب مني حين نخرج واعملوا بحسب مااقول لكم ولا اظن باننا سنصاب بأذى» .

قبل ان يخرجوا كان أندي يبحث عن علبة الملح ولم يلحظه الآخرون وكان له في ذلك تدبير خاص ! ذهب الجميع باتجاه الفتحة وكان توم في المؤخرة حملق الرجال في وجوه الاولاد : «ماهذا ، ليسوا سوى اطفال ، الا هذا الولد الصياد !» قال باندي .

«انظر ! انظر ياأندي ، ذلك هو قارب ابيك !» صرخ توم فجأة . وبالفعل كان هنالك على مسافة بعيدة قارب للصيد تعرف عليه أندي فهو يعود لعمه .

«.. ياهووووه !» صاح توم «نحن الآن بخير اذن يجب عليكم ان تتركونا نذهب» .

«.. هيا خذهم بعيدا !» قال الرجل الاسمر : «.. ليس لدينا وقت نضيعه .. اربطوا اعينهم .» ربط الرجال اعين الاولاد بمناديل حمراء ، الى اين يذهبون

بهم ؟ ولماذا ربطوا اعينهم ؟!.. دفع الرجال الاولاد بخشونة الى الامام ، حيث بدأ الاولاد يتحسسون طريقهم فوق الصخور وهم جاهلون بمصيرهم .

«اوه !.. ارجوكم !» توسل توم : «دعونا ننتظر ، دعونا ننتظر والد آندي وسنذهب بعد ذلك الى بلدتنا ، دعونا نذهب !.. ارجوكم دعونا نذهب !» .

لكن الرجال استمروا في دفع الاولاد الى الامام ، حيث كان والد آندي يبحث عنهم دونما جدوى . كان الاولاد خائفين من الانزلاق على الصخور ، والرجال يدفعونهم الى الامام ، بعد ذلك قادهم الرجال نحو ارض منبسطة لكنها خشنة ، ثم شعر الاولاد بانهم يسيرون الى الاعلى وفي سرهم كانوا يتمنون لو يتمكن والد آندي من العثور عليهم .

كان آندي اثناء ذلك يحاول جاهدا ان يحفظ الطريق . وكان يفعل شيئا آخر ! حيث بدا منذ مغادرتهم الكهف بنثر الملح على الارض وهو يتمنى ان لاينتبه اليه احد حيث عمل ثقبا في جيبه وملأه بكمية كبيرة من الملح . كان يريد ان يعرف الطريق الى مخابيء المهربين ففي حالة كونه حرا ـ ان اسعفه الحظ ـ فقد تساعده آثار الملح على ذلك . «.. فقط اذا لم تمطر !» . فكر الولد مع نفسه .

وبعد حوالي عشر دقائق من السير المتعب ، امر الرجال الاولاد ان يتوقفوا ، وحاول آندي ان يسحب قليلا من رباط عينيه لكنه تلقى صفعة قوية على اذنه ! ثم سمع ضجة جعلته في حيرة من الامر ، بعد ذلك دفع الاولاد خلال ممر تحسسه آندي على الجانبين حيث كان صخريا وضيقا ، ثم اصبح المكان اكثر عتمة حيث شعر الاولاد بذلك من خلف الاربطة ، ثم توجهوا الى الاعلى قليلا ، بعد ذلك توقفوا جميعا .

«ستكونون بمأمن هنا !» . جاءهم زئير الرجل القصير والذي فتح الاربطة عن عيونهم . اصيب الاولاد بالذعر . كانوا يقفون امام كهف عالي السقف وبه باب كبير ، يفتح على البحر المضيء في ذلك الوقت من النهار . سمع الاولاد صرير الباب الكبير وهو يغلق وراءهم ، انهم الآن سجناء ! لكن ياله من سجن غريب !

«ياالهي ! لن نتمكن من الخروج من هنا بسهولة» قالت جيل باضطراب واضح .

«قد نتمكن من رؤية قارب والدك ياآندي . قال توم وعيناه تلتمعان ببريق البحر .

حدق الجميع الى عرض البحر ، لكنهم لم يشاهدوا شيئا عدا الساحل الصخري الخطر حيث كانت الامواج تتهالك عليه وهي ترغي وتزيد .

بعد وقت قصير ، جاءهم صوت الباب وهي تفتح ، وقف الاولاد على الفور ، انه باندي دخل اليهم حاملا جرة ماء كبيرة وصحنا من اللحم والخبز ولاشيء غير ذلك .

«مع انكم لاتستحقون شيئا» قال بصوته القبيح الخشن «هيا ، كلوا هذا ، وافرحوا به !» .

«قل لي ياباندي ! كم سيطول حبسنا هنا ؟» سأله آندي وماذا فعلتم بقاربي ؟ هل اغرقتموه ؟» .

«لماذا ؟ هل كنت ستحاول الهرب به ؟» سأل باندي بابتسامة صفراء ماكرة : «يجب ان تقطع الامل تماما ! هو الآن غارق على مايرام !!» .

استدار آندي وهو يضرب رأسه بكلتا يديه . وبعد ذلك خرج باندي ، اغلق الباب وراءه وهو يضحك بصوت عال ..

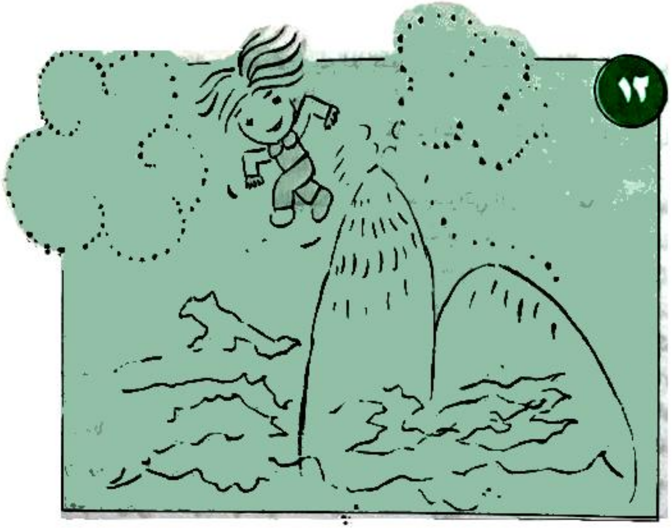
جعل الطعام الاولاد يشعرون بالتحسن ، رغم ان الخبز كان جافا وباردا وطعم اللحم عفنا بعض الشيء . وفي حوالي الساعة الخامسة ، حين عاد الجميع يشعرون بالجوع ثانية ، سمعوا مزلاج الباب يسحب مرة اخرى . هذه المرة كان الرجل الاسمر هو القادم ، تكلم اليهم بصوته العميق وحين سمع الاولاد لهجته الغريبة ، علموا بانه ليس من مواطنيهم «يمكنكم الذهاب الآن ، فالقارب الذي جاء للبحث عنكم قد ذهب منذ فترة ، لكنني انذركم بأنه لو ظهر مرة اخرى فسنجلبكم الى هنا ثانية» .

«.. ماهذه الالغاز ؟ مانوع العمل الذي تريدون اخفاءه ؟!» سأل آندي «.. الاولاد في مثل اعماركم لايسألون مثل هذه الاسئلة الخطيرة !» اجاب الرجل وعيناه مفتوحتان من الغضب «عندما ننهي اعمالنا هنا سنعيدكم الى مكانكم وعليكم بعدئذ الذهاب بعيدا ، والآن سنربط اعينكم مرة اخرى ونذهب بكم الى هناك» .

وهكذا ربطت اعين الاولاد مرة اخرى ، وكان باندي والرجل الاسمر يخرجان الاولاد من الكهف ، تحسس الاولاد الطريق نفسه . وبعد ان وصلوا الى كهفهم ، فك الرجال رباط اعينهم ، فالتمعت من قوة الضوء المنعكس على امواج البحر ، ثم تركوهم هناك وعادوا .

قال توم : «.. لندخل الكهف ونتناول بعض الطعام فانا اكاد اموت جوعا !» .

كان أندي يراقب عودة الرجلين ليعرف عن اي طريق ذهبوا ، حتى غابوا عن الانظار .
«آه لو اعرف الى اين يذهبون . وماذا يفعلون ؟!» قال اندي بصوت خفيض : «ماالذي يجري هنا ؟! سأتمكن من ايجاد الطريق واكتشف كل مايجري !» .
فسأل توم : «لكن كيف سيمكنك ذلك ؟ لقد ربطوا اعيننا ولن نستدل على الطريق !» .
«سأذهب للبحث عنه» قال أندي «لكن ليس قبل ان نتناول بعض الطعام .» .



تعقب الأثر

اخبر(أندي)الاولاد بما فعله بالملح فقرروا اتباع اثره ، وكان توم ، جيل ، وماري يشعرون بالاثارة «الآن يمكننا التوغل في الجزيرة لنرى مايفعل اولئك الرجال !» قالت ماري وهي تزحف خارجة من الكهف «هيا ، لنذهب جميعا ياالهي ! يجب ان نسرع ، انظروا هناك !» . نظر أندي بذعر شديد ، انها غيوم مثقلة بالامطار «اف ، اف !» قالها بغضب شديد «سيمحو المطر كل اثار الملح ، الا يبدو ذلك مزعجا ؟» .
«.. هيا لنتعقبها اذن قبل ان تذوب ؟» قال توم وهو يقفز على الصخور «.. هذه كومة ملح ! لقد مررنا من هنا حتما ! وهذه كومة اخرى ، هيا ، يمكننا رؤيتها بوضوح .»
اتبع الاولاد آثار الملح على الصخور لمسافة قصيرة ثم مالبث ان انهمر المطر غزيرا فاختفت الاثار في لمح البصر فقال أندي باكتئاب واضح «ياللحظ !

لماذا نتعقب الآثار في وقت مبكر ، ولم لم افكر في شيء افضل من الملح ؟ كنت على عجلة وهذا اول شيء خطر ببالي ، اف !»

«لا تحزن يا اندي» قالت جيل «بالعكس ! كانت فكرة جيدة ماكان لاحد منا ان يفكر بها !»

«هناك احتمال ان ابي سيعود للبحث عنا غدا ، وسياتي الرجال حتما لاخذنا من هنا ، عند ذلك ساحاول تطبيق فكرتي مرة ثانية» .

«لكن ليس باستخدام الملح !» قالت جيل «فهو سهل الذوبان ، وهو يطير في الهواء ، لنفكر في شيء آخر .»

«فكروا في شيء لايجذب انتباه الرجال قال توم ، ثم تفتق ذهنه فجأة عن فكرة هائلة :

«انا اعرف مايكون ذلك ، هل تذكرون الاصداف الوردية الصغيرة في مياه القعر الضحلة ؟ .. لنجمعها ونملأ بها جيوبنا ، لن يلحظها احد لان وجودها هنا عادي ولايلفت الانتباه . اظن بانه اثر ممتاز» .

«نعم ، وهي لاتذوب في مياه المطر !» قالت جيل

«انها فكرة مدهشة ياتوم» قال اندي «سنطبقها ، سنجمع الاصداف الآن ، حتى تكون جاهزة لدينا فيما لو قبض علينا عند اية لحظة» . ذهب الجميع للبحث عن الاصداف الصغيرة فوجدوا الكثير منها . ملأوا جيوبهم بها ، وكان توم سعيداً بفكرته للغاية . عاد الاولاد الى الكهف بعد ان بدأ الظلام يهبط . كان الكهف مظلما وباردا ، غير ان الاولاد سرعان ماغرقوا في نوم عميق .

وعند الصباح ، استيقظ الجميع ، فاستغرب اندي وهو يقول : «لقد تاخرنا في النهوض هذا الصباح ، اني اشعر بالكسل ، ساذهب لاغتسل في ذلك الحوض الصخري » . فعل الاولاد مثلما فعل اندي ثم احضرت جيل مشطا وراح كل منهم يسرح شعره ويرتب هندامه . بعد ذلك تناولوا افطارا بسيطا من الخبز اليابس والزبد والمربى .

«أندي ! الرجال قادمون !» قال توم «اوه ! انظروا هناك ! واحد ، اثنان ، ثلاثة ، اربعة خمسة قوارب صيد ! ياالهي ! لقد جلب ابوك نصف طاقم للبحث عنا !» .

«.. لنلوح لهم بسرعة» صرخ اندي ، لكن قوارب الصيد كانت ابعد من ان

تلمحهم ، وفي نفس الوقت كان الرجال المهربون قادمين نحو الاولاد ، كانوا ثلاثة كالسابق ويحملون المناديل الحمر ذاتها «هيا ، بسرعة ! جميعكم !» جاءهم صوت الرجل الاسمر .

«.. سنذهب معهم دون ان نأتي بأية حركة» قال اندي لرفاقه . وسرعان ماقام الرجال بربط عيون الاولاد ودفعوهم الى الامام كالمرة السابقة وعلى نفس الطريق . تعرف الاولاد على ذلك الممر الصخري مرة اخرى ، حتى انتهوا الى ذلك الكهف الكبير المطل على البحر . ثم سمعوا مزلاج الباب وهو يقفل . «لقد قمت بالقاء جميع ..» بدأت جيل الكلام بلهفة «ماهذا» صرخ اندي وهو يضرب على كتفها باصبعه ، ثم قام باحناء رأسه على جانب الباب قائلا : «.. انت لاتعلمين ان كان احدهم يتنصت خلف الباب ليعرف مانقول» .. همس أندي «.. لاتقولي شيئا حتى يبتعدوا .»

«لقد القيت جميع اصدافي من بداية الطريق وحتى النهاية» همست جيل .

«وانا ايضا القيت بكل مالدي منها» قالت ماري «كنت خائفة ان ينتبه لذلك احد» .

«.. كنت انصت دائما الى صوت ارتطامها بالصخور ولم يبق لدي سوى اربع منها .. كنت خائفا من نفادها قبل وصولنا الى هنا» قال توم فرحا .

«.. حسن ! لقد قمنا بعمل مثمر» قال اندي بهمس ثم قال توم معقبا : «علينا بعد الآن ، ان نعرف الطريق بسهولة ، يمكننا التسلل الى هذا المرتفع الصخري ونتجسس حوله .»

«اظن ان علينا القيام بذلك مساء» قال أندي «لان الرجال سينتهون لذلك في النهار .»

«اوووه ! خلال الليل» قالت جيل وقد بدا عليها الخوف «لن ارغب في ذلك ابداً !»

«حسن ، سنذهب انا وتوم فقط» قال أندي : «سنترككما غارقتين في النوم داخل الكهف وسنعود اليكما قبل الفجر» .

مرة اخرى جاءهم الطعام ، خبزا يابسا ولحما نصف متعفن كما في المرة السابقة ، وبعد ان تناولوا شيئا منه . اطلق(باندي)سراحهم ، ثم ربط اعينهم وراح هو ومن معه يدفعون الاولاد على نفس الطريق .

«.. اظن ان اصدقاءكم قد كفوا عن البحث عنكم الآن !» قال الرجل بنبرة خبيثة

«انتم الآن احرار . لتنطلقوا فوق هذه الجزيرة ، ولكن لاتحاولوا الذهاب عبر الطريق الآخر ، فالصخور هناك مدببة وحادة ، وقد تسقطون عليها ويصيبكم الاذى ، عند ذلك لن نمد لكم يد العون .»

«اي نوع من الاشخاص انتم ؟» علق أندي على كلام الرجل الاسمر ، ثم نظر باندي نحو اندي وهو يرغب في صفعه على اذنه لكنه لم يفعل ، وسرعان مااوصلوا الاولاد الى كهفهم . قفزت جيل على الصخور قليلا بعد ان غاب الرجال عن اعين الاولاد ، ثم عادت بوجه متورد وهي تقول : «.. آثار اصدافنا هناك ! يمكن ان نراها بوضوح ، ويمكننا تتبعها بسهولة ياأندي انها تملأ الطريق فوق الصخور !» .

«حسن ، اتمنى ان الرجال لم يلحظوها» قال أندي «سنقوم بمهمة صغيرة لكنها مثيرة ! هذه الليلة» .

قرر الاولاد ان يتتبعوا آثار الاصداف عند منتصف الليل ، حين يكون الرجال مستغرقين في النوم ، لذا فلقد ناموا لساعات قليلة قبل البدء بجولتهم .

«سابقى يقظة لاجلكما» قالت جيل «لكي اوقظكما عند منتصف الليل» .

«كلا ، انا سأستيقظ عند منتصف الليل دون الحاجة لذلك» قال آندي واضاف : «يمكننا النوم جميعا» .

وعند حوالي الساعة الثانية عشرة تقريبا استيقظ(آندي)وتناول مصباحه البدوي وراح يوقظ توم حيث راح يهزه بقوة : «اووووه !» قال توم ثم قفز من نومه بسرعة . همس أندي : «لقد حان وقت ذهابنا ، هيا !» .

«ناولني مصباح جيل اليدوي» قال توم هامسا : «.. انا بحاجة الى واحد غير مصباحي التالف» . ناوله أندي واحدا ثم خرج الاثنان يزحفان عبر فتحة الكهف ، كان الطقس باردا والسماء مظلمة ، حيث تجمعت غيوم كثيرة ، وسرعان ماشاهدا الاصداف تلمع تحت ضوء مصباحيهما . استمرا الولدان في تتبع الآثار على الصخور بسهولة ، ثم مضيا اكثر واكثر باتجاه اليسار ثم الى الاعلى ، ثم اختفت آثار الاصداف فجأة : «لابد باننا سرنا نحو الداخل من هنا» . قال اندي وهو يحول ضوء مصباحه نحو الصخور التي تجمعت حولهما . لكن لم يكن هناك طريق بالمرة ، فقط كان هناك جدار صخري وليس من مدخل نحو ذلك المرتفع الصخري . «غريب !» قال آندي «ربما تستمر الاصداف لما بعد

ذلك ، او ربما دخلنا في متاهة الى حيث لم يلق احد منا باصدافه ! سأذهب لارى ، وعليك ان تشعل المصباح بين الفينة والاخرى» .

وسرعان ماعاد أندي ثانية : «لم اعثر لها على إثر !» قالها في حيرة «يجب ان يكون هذا المكان هو بداية دخولنا نحو التل الصخري ، لكن كيف بحق السماء يستطيع شخص اختراق صخرة كهذه ؟» وجه توم ضوء مصباحه مرة اخرى نحو الصخرة الكبيرة الجاثمة امامهما وقال متسائلا : «.. انظر الى هذا الشرخ الطويل في الجدار ، لكن كيف يمكن اختراقه ؟!» .

«.. هل تذكر الصوت الغريب الذي سمعناه ؟! صوت مثل قضبان الحديد وهي تزحزح شيئا قويا ؟ اتمنى لو ان لي قدرة على فتحها بطريقة سحرية كان اقول : افتح ياسمسم فتنفتح الباب»

«.. لكن كيف يمكننا زحزحة كتلة صخرية كبيرة مثل هذه» قال توم .

ذهب(آندي)كي يتفحص الشرخ بمصباحه وفجأة ! عثر على شيء جعله يكاد يصرخ : «انظر ! توم ! انه قضيب حديدي ، وضع هنا كعتلة ، حسن ساحاول حمله ومن ثم حشره في هذا الشرخ . بعد ذلك اضغط عليه بشدة ، هيا ساعدني ياتوم !» وبمساعدة توم ، تحرك جزء من الصخرة بصوت عال وحاد ، وبعد ذلك اصبحت الباب الصخرية سهلة الانزلاق وبعد فتحها شاهد الولدان المدخل المظلم نحو التل الصخري . مضيا الى الداخل خلال النفق المظلم الذي كان يتفرع الى فرعين الاول نحو الاعلى والثاني نحو الاسفل «سنتبع الذي نحو الاعلى !» قال أندي «فربما يقودنا الى مصدر الضوء الذي رايناه يومض من قمة (صخرة المهربين) هذه !»

زحف الولدان خلال النفق العلوي باستخدام مصباحيهما ، كان الصمت يعم المكان بشكل مخيف . انقسم النفق العلوي فجأة الى فرعين آخرين ، واحد جانبي والآخر مستمر نحو الاعلى . دخل توم وآندي من الفرع الجانبي كي يشاهدا ما فيه فكانت امامهما باب خشبية كبيرة بها مزلاج وقفل «اراهن بانها باب الكهف الذي اغلقه علينا الرجال امس واليوم» قال آندي تراجع الولدان ومضيا نحو النفق الآخر الصاعد نحو الاعلى .

فجأة ! لاحظا ضوءا يسطع في مكان ما امامهما «هدوء !» همس آندي «اثبت مكانك !» . لم يكن هناك مايمكن سماعه لذا استمرا بهدوء الى حيث الضوء .

وجدا نفسيهما في كهف ضخم مضاء بمصباح كبير يتدلى من منتصف السقف الصخري للكهف الذي كان مؤثثا بشكل مريح وبه سجادتان وطاولة وكراسي . كذلك دواليب وموقد . كان مشتعلا لحظة دخولهما وابريق به ماء يغلي . وعلى الطاولة كانت توجد وجبة طعام جاهزة ، وجبة ممتازة ، جعلت توم يشعر بالجوع ولعابه يسيل ، شرائح من اللحم المقدد مع جرة شراب وفطائر . «انظر الى كل هذا !!» قال توم بعد ان عيل صبره «يجب ان اتناول شيئا منه .» .

«كن حذرا هذه الوجبة لشخص ما ، الا ترى ابريق الشاي يغلي على الموقد ، معنى هذا ان الرجل الذي يخصه كل هذا موجود في مكان قريب» . بعد ذلك توسل توم : «يمكنني اختصار المسافة الى الطاولة بقفزة واحدة ثم اجلب بعض اللحم .» .

«حسن .. اسرع اذن» قال آندي . وسرعان ماوثب توم بقفزة واحدة نحو المائدة المغرية وجلب معه اربع شرائح من اللحم . وقطعة خبز كبيرة ، ثم اقتطع جزءا كبيرا من الفطيرة ، بعدها سمع وقع خطوات شخص قادم كان ذلك صوت باندي يزأر بخشونة معروفة .

«اسرع ! لنختف في مكان ما» قال آندي وهو ينظر حوله هلعا «الى هنا ! بسرعة !.»

اختبأ الولدان داخل احد الدواليب الكبيرة ثم سحبا الباب عليهما بسرعة وخفة ثم دخل باندي وهو يغني نشازا ثم قام برفع الابريق عن النار ، ملأ قدحه بالشاي وجلس الى المائدة ليأكل ، ثم حملق في صحن اللحم بغضب وهو يصيح : «ماهذا ؟! اين ذهب نصف اللحم ، واين الخبز ؟ انه ذلك الخنزير الطماع (ستامبي) ، لابد بانه اتى الى هنا وسرق بعض عشائي ، سأدق عنقه !» .

كان صوت باندي يجعجع بشكل كريه . ثم انتبه الى ان احدهم قد اقتطع جزءا كبيرا من الفطيرة فوقف على قدميه غاضبا : «آه ! الفطيرة ايضا ! ساعلمه اذن ، سأضربه على عنقه بقبضتي حتى لايعود يميز ان كان واقفا ام جالسا .. سا ...» .

خرج باندي من الكهف ثم اختفى عن طريق النفق الذي يقود الى الاسفل ، كان الولدان في تلك اللحظة يتمنيان الضحك بصوت عال ، مسكين (ستامبي) ! سيقسم اليمين على انه لم يتحرش بعشاء باندي ، لكن الاخير

الاحمق لن يصدقه ! .

«لنخرج من هنا مادامت الفرصة مؤاتية» قال آندي وهو يخرج «.. هيا ياتوم !» وقف توم ليلتقط شرائح اخرى من اللحم وقطعة اخرى من الفطيرة ، ثم سار هو واندي خلال النفق مرة اخرى ، ذهاباً بالاتجاه العلوي ، وهما يتساءلان الى اين يقودهما ؟! كان عليهما ان يستخدما مصباحيهما . بعد قليل جلس توم ، وهو يطلق آهة قوية :

«اندي ، يجب ان نرتاح قليلا ، تلك الدرجات كانت شاهقة» جلس اندي بجانب توم وهو يلهث ايضا . اطفأ مصباحه وابتسم في الظلام وهو يفكر بما يحدث بين باندي ورفيقه ستامبي . وبعد تلك الاستراحة القصيرة مضيا في الصعود ، حيث كان ضوء يتوهج عند النهاية . «نحن الآن عند قمة (صخرة المهربين) عند اعلى نقطة حيث كان الضوء يسطع من هنا» صرخ اندي : «ياالهي ، ياالها من ريح قوية !»

«انظر ! ذلك هو المصباح الضخم الذي يرسل الاشارات الضوئية» قال توم وهو يصوب ضوء مصباحه نحو مصباح كبير كان مطفأ في ذلك الحين : «انظر ياآندي من هنا ينبعث ضوء قوي يعطي الاشارات للسفن ، ربما اشارة متفق عليها للبدء بتفريغ حمولتها الممنوعة .» .

«ياالهي !» قال آندي «.. هذا صحيح جدا ، نحن اذن على علو شاهق !» ثم امسك بكتف توم فجأة وهو يقول : «اسمع خطوات عبر درجات النفق ، ربما هو باندي جاء ليعطي اشارة ما ، هيا نستلقي تحت طاولة المصباح الكبيرة ، فربما لايتمكن من ملاحظتنا» . زحف الاثنان تحت منضدة المصباح الكبير ، ثم حضر باندي وبدأ بتشغيل ذلك المصباح الذي توهج ضوؤه وبدأ باعطاء الاشارات . استمر لفترة ثم عاد وأطفأه ونزل عبر تلك الدرجات ثانية . لم يجرؤ الاولاد على تعقبه لكنهما نزلا بعده بضع درجات ، فوجدا زاوية في الحائط على احد جانبي السلم . فجلسا هناك وسرعان مااستغرقا في نوم عميق .

استيقظا عند الفجر وهما متيبسان يرتجفان من شدة البرد . وكانا غاضبين كونهما استسلما للنوم . ذهب آندي الى غرفة الاشارات الضوئية ونظر حوله : ياله من منظر رائع ! كان باستطاعته رؤية كل سواحل الجزيرة ، ثم نظر الى احد السواحل الجانبية التي لم يكن قد رآها من قبل وصاح بصوت خافت : «انظر ياتوم ! هناك ! هناك الى الاسفل .. ماذا بشأن ذلك ؟» .



اكتشافات اخرى

حدق الولدان نحو الاسفل ، بعيدا ، بعيدا نحو الاسفل ، الى حيث كان البحر يلتمع تحت ضوء شمس الصباح فشاهدا مرفأ ازرق حول الشاطىء الضحل . وكان مطوقا بصخور ناتئة من كل جانب الا من فتحة صغيرة جانبية تسمح بمرور القوارب ذات المحركات ، حيث كان ذلك المرفأ مملوءا باعداد منها ، بعضها كبير نسبيا والآخر صغير : «انظر الى ذلك» قال آندي : «من كان يتخيل وجود مثل هذا المرفأ الطبيعي على جانب الجزيرة ! اذ لايمكن لاحد ان يلحظه من هذا الجانب ، يمكنني القول ان هذا هو مرفأ صغير للتهريب !» .

كانت القوارب تبدو كعلب الكبريت من المكان الذي وقف عنده آندي وتوم حيث كانت الرياح تدير رأسيهما : «لا عجب ان المهربين كانوا يعرفون من اي اتجاه يأتي والدي !» . «يمكنهم ان يلمحوا القوارب القادمة وهي على بعد اميال ! واظن بانهم شاهدوا قاربنا ايضا حين كنا في طريقنا الى (جرف

الطيور) .

«لقد شاهدوه في المرة الثانية على ماأظن» قال توم «لذا ارسلوا بالقارب ذي المحرك في محاولة لمنعنا من الدخول اكثر .»

«انت على حق !» قال أندي : «ياالهي ، انها تبدو صفقات تهريب كبيرة تلك التي يحتاجون فيها الى هذا العدد الكبير من القوارب اظن بانهم يبعثون بها الى السفن الراسية بعيدا ، السفن التي تتاكد من الاشارة الضوئية لتفرغ حمولتها التي تاتي بها القوارب الصغيرة الى هنا» .

«الى اين يهربون البضائع ؟» قال توم «ولماذا يهربونها ؟ اعتقد حتى لايدفعوا عنها الضرائب الباهظة ، فهم يدخلون بها الى البلد عبر هذا الطريق ، لكن كيف ينقلونها بعيدا عن هنا ؟ اذ لايوجد طريق بري الى داخل البلد لا من هنا ولا من جرف الطيور .»

«ذلك لغز محير !» قال أندي «فقط لو نتمكن من الهرب كي نبلغ المسؤولين كل مارايناه !»

«هل تذكر ماأخبرتك به عن الصناديق والاقفاص الخشبية في الكهف الموجود داخل جرف الطيور ؟ كيف تظن انهم نقلوها الى هنا ؟» قال توم مستفسرا .

لم يتمكن أندي من الاجابة حيث وقف هو وتوم يهزان رأسيهما امام ذلك المنظر الغريب ، حيث تمكنا من رؤية احد القوارب يتحرك باتجاه المرفأ ثم جاء رجل راح يفرغ حمولة القارب : «.. اراهن ان هذا القارب هو الذي مضى نحو السفينة ليلا حين قام باندي باعطاء الاشارة !» قال أندي «صرت متأكدا بان هذا القارب حمل بالبضاعة ثم عاد بها قبل الفجر ، ثم ابحر حتى وصل الى هنا عند هذا الوقت» .

«لابد بان الرجال هنا يعرفون مكامن الخلجان والمرافئ وكذلك المخابيء بشكل ممتاز» قال توم «اعتقد ان من الافضل الآن ان نعود الى الفتاتين» قال أندي واضاف «لابد انهما في غاية القلق علينا وتتشوقان لمعرفة الذي حدث معنا ، آه لو نتمكن من العودة الى البيت !» .

استدار الولدان نحو الدرجات الصخرية ، حيث كان الظلام مطبقا ، لكنهما لم يرغبا في اشعال مصباحيهما خوفا من وجود باندي الذي قد ينتبه لوجودهما لذا تحسسا الطريق بحذر نحو الاسفل واستغرقهما ذلك وقتا طويلا .

«كن على حذر !» همس أندي حين وصلا الى المكان الواسع نفسه والغرفة التي سرق منها توم اللحم والفطيرة .

مد أندي رأسه خلسة ليرى ان كان باندي موجودا حيث كان مستلقيا على ظهره ويشخر بصوت مسموع .

«لا يوجد احد غيره هنا» قال توم وهو ينظر حوله بسرعة «لكنه لم يكمل طعامه ياأندي هيا لنجلب بقية الطعام !» .

«كلا . فربما يصحو» قال أندي وهو يسحب توم من ظهره .

«لا ، لن يفعل ، انه يشخر كالثور !» قال توم «هيا بنا نجمع بقية الطعام فنحن لم نتناول افطارا» . تسلل الولدان الى داخل الغرفة ورفعا صحن الخوخ وصحن . وحين كانا يهمان بالخروج اطلق باندي شخيرا هائلا جعل توم يقفز هلعا ثم سقط على ارض الغرفة المتعرجة فتطايرت من يديه الصحون وتهشمت الى قطع صغيرة .

«ياالهي !» همس أندي بغضب وهو يسحب توم الى الاعلى ، فذهبا ناحية الممر لكن باندي كان قد استيقظ الآن ثم جلس وهو يصرخ عاليا :

«ماهذا ! هل اتيت لتسرق طعامي ثانية ياستامبي ؟! بعد كل الضرب الذي ضربتك اياه ليلة امس ، انت ايها الطماع ..؟ ايها الخنزير !.. ايها ..» .

«هيا لنركض ! لقد ظن بأنه رفيقه مرة اخرى» همس أندي «هيا لنختبيء في مكان ما قبل ان يمسك بنا» . نزل الولدان الى الاسفل واجتازا النفق المشطور الذي يقودهما الى الكهف الكبير حيث سجنهما الرجال مرتين ، ثم انسحبا الى الاسفل ، وهما يتمنيان العثور على مكان تقاطع النفق .

وسرعان ماقطعا المسافة تلك حتى وصلا الى ذلك الكهف فوجدا الصخرة وقد ارجعت الى مكانها لتغلق المنفذ ، ولم يكن هناك من سبيل آخر نحو الخارج .

حاول الولدان تحريك الصخرة دون جدوى ، فلقد اختفى القضيب الحديدي .

«ماذا سنفعل ، لايمكننا بالطبع العودة الى حيث غرفة باندي» قال توم «سيمسك بنا حتما !» .

«لنعد الى حيث ينقسم النفق ولنأخذ الجزء السفلي هذه المرة» قال أندي «وسوف نرى الى اين يقودنا ، فربما ينتهي بنا الى طريق آخر» .

عاد الولدان الى النفق حيث يتشعب وهما ينصتان بحرص شديد لصوت باندي ، ثم دلفا في الفرع السفلي ووجدا طريقهما خلال الظلام وحيث كان الفرع يتلوى تارة يمينا وتارة شمالا . «هذه الممرات تمتد في عمق المرتفع الصخري مثل النفق الذي داخل جرف الطيور» قال توم ثم اعقب : «اسمع ! ماهذا ؟!» .
كان ذلك صوت عراك ! زحف الولدان نحو مصدر الصوت «انه باندي وقد ذهب الى ستامبي مرة اخرى !» قال آندي : «مسكين ستامبي لقد اوقعناه في ورطة عن دون قصد»

وعند نهاية النفق وصل الولدان الى كهف آخر ، مثل الذي في الاعلى لكنه كان اصغر من كهف باندي ، وليس مؤثثا بشكل جيد . كان باندي ومعه ستامبي يتعاركان بالايدي والارجل وكان الضوء في الكهف خافتا فلم يلحظ الرجلان وجود الولدين ، وحين وقفا يختلسان النظر الى الرجلين شهق توم بحدة :
«.. واو ! ستامبي هو نفسه الرجل ذو الصفارة ! هل تذكره ياآندي ، هو نفسه الذي شاهدته عند كهف (جرف الطيور) مع الرجل الآخر ايضا» .

كان عراكا عنيفا ذلك الذي يجري في كهف ستامبي ، صياح وزعيق ، ركل ولكمات ومسك ايادٍ ودك على الارض ! فوجد الولدان بأن الفرصة سانحة للتسلل بسرعة الى مخرج الكهف من الناحية الاخرى دون ان يلحظهما احد .
والآن اصبح النفق ينحدر الى الاسفل لمسافة طويلة ، قال توم فجأة «اسمع ياآندي ! ماهذه الضجة الغريبة فوق رؤوسنا !» انتبه آندي ايضا لوجود ضوضاء غريبة بووووم ... بووووم !!. «ماذا تراها تكون ؟» تساءل آندي «لايمكننا الرجوع ياتوم بعد ان قطعنا كل تلك المسافة ، لابد من ايجاد طريق ، حالا .»

استمر الولدان في سيرهما وهما يستخدمان مصباحيهما ويشعران بالتعب من ذلك الطريق المظلم الطويل . كان آندي حائرا ، حيث ان (صخرة المهربين) لم تكن ارضا كبيرة هكذا فالى اين يقودهما هذا الطريق ؟
«لكني اتوقع اين نحن الآن !» قال آندي : «انه صوت البحر هذا الذي نسمع ، انه فوق رؤوسنا مباشرة !»
«ف... ف...فوق رؤوسنا ؟!» قال توم وهو يرتجف : «ماذا تعني بذلك ؟!» . قال آندي بلهجة الواثق : «نحن تحت قعر البحر ! اراهن باني اعلم الى اين يقود ،

انه يقود مباشرة الى جرف الطيور !»
ففر توم فاه مندهشا للدرجة التي لم ينطق بها بحرف واحد ، حملق في وجه آندي وهو ينصت الى دوي البحر فوق رأسه ، نعم ! لابد انها الامواج تتلاطم هنا . قال آندي بعد فترة من الصمت «هذا الطريق يمضي الى الاسفل ولست اعلم اين نحن الآن بالضبط ، لكني اعتقد باننا سنصل الى جرف الطيور حتما ، الآن عرفت كيف ينقل المهربون بضاعتهم ثم يختزنونها في الكهف الذي رايته ياتوم ! هم ينقلونها عبر هذا الطريق !»
«هيا اذن !» . قال توم : «هيا ، لنر الى اين ينتهي بنا هذا ... بسرعة !» .
مضى الولدان بلهفة نحو الامام على امتداد ذلك النفق الغريب . كان واسعا جدا فليس من العجب في شيء ان ينقل المهربون بضائعهم من (صخرة المهربين) الى (جرف الطيور) بتلك السهولة .
بووووم .. بووووم .. بووووووم ! كان البحر مضطربا على مايبدو . «اتمنى ، قال توم : «اتمنى ان لايوجد شرخ في احدى طبقات هذا السقف !» .
«لاتكن سخيفا ، لابد وان هذا النفق موجود هنا منذ مئات السنين» قال آندي «ليس هناك من سبب يجعلها تنفطر هكذا على حين غفلة ، نحن بخير ، فاطمئن !» .
«اتمنى ذلك !» قال توم : «اف ، لقد توقف مصباحي عن العمل !» .
«لايهمك ! ساعطيك مصباح ماري الذي معي ، تعال وسر الى جانبي ، انه شيء غريب هذا النفق ، لابد انهم استخدموه منذ زمن طويل» قال آندي لتوم :

مضى الولدان يسيران لفترة طويلة ، كان آندي يحاول حفظ المسافة التي يقطعانها : «اسمع ! لقد بدأ الدوي يتلاشى ، اظن باننا ابتعدنا عن مصدره !» قال توم وتوقف فجأة «انت على حق !» قال آندي «ربما نحن الآن عند جرف الطيور .»

بعد ذلك استمر الطريق في الصعود على شكل نفق مستقيم حتى انتهى الى كهف واسع مملوء بانواع مختلفة من الصناديق ، تمكن الولدان من ازاحة بعض القش وقطع النسيج عن فتحة احد الصناديق الذي كان نصف مفتوح نظر توم الى آندي وقال بدهشة : «ماهذا ؟ هل عرفت ماهو موجود داخل الصندوق ؟» .
فاجاب آندي : «نعم ! انظر ، تلك القطعة التي تلمع ، انا متأكد انها من

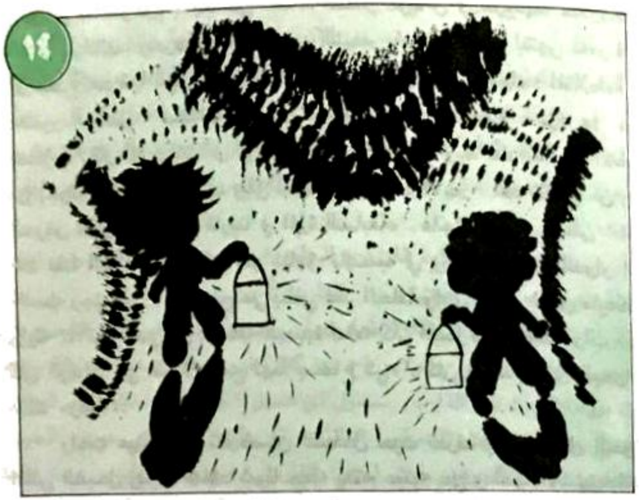
الذهب الخالص !» . ثم جلس وهو يفكر ، وكان القلق يبدو عليه وتمنى للحظة لو انه رجل حتى يواجه كل هذا وبعد لحظات تفكير قال : «هل من الافضل الرجوع الى (صخرة المهربين) وايجاد الفتيات ، ام انه من الافضل الاستمرار والخروج عبر (جرف الطيور) ؟ اعتقد ان هذا هو الافضل اذ يمكن لنا ان نخرج عبر فتحة الشلال ، ثم ننتظر قدوم ابي حين يأتي باحثا عنا حيث يمكننا عند ذاك اعطاءه اشارة»

«نعم» قال توم «هذه فكرة ممتازة ، فالرجال لن يتوقعوا باننا قد وجدنا هذا النفق وعبرنا عن طريقه الى (جرف الطيور) ، كما لا اظن بانهم سينتبهون الى عدم وجودنا مع الفتاتين في الكهف ، ان لم يكونوا قد ذهبوا للتفتيش في الكهف ، تلك فرصتنا ان نصل الى (جرف الطيور) ونعطي اشارة من هناك»

«ذلك يبدو جيدا» قال آندي بفرح وهو ينهض «هيا لنستمر في سيرنا الى هناك !» .

لذا ترك الولدان مخزن الذهب وراحا يتابعان سيرهما بحرص وحذر كبيرين .

اتجه النفق الى الاعلى ثانية «اؤكد بانه يقودنا الى ذلك الكهف !» همس توم كانت هناك فتحة فوق راسيهما يأتي منها بصيص ضوء لكن لم تكن هناك دلائل تشير الى وجود درجات او مواطىء اقدام في الجدار . لكنهما سرعان ماعثروا على حبل متين يتدلى من تلك الفتحة فتسلق الولدان بمهارة ثم خرجا الى فسحة كبيرة كانت هي الكهف الذي تحدث عنه توم : «امر حسن ان لانجد احدا هنا !» صوب آندي ضوء مصباحه نحو اكداس الصناديق : «اظن ان هذا هو مخزن الطعام .. انظر هناك ، صندوق نصف مفتوح ، انظر ! انه مملوء بالاطعمة المعلبة ليكفي كل من يعمل هنا ، انه تخطيط دقيق !» . بعد ذلك حاول الولدان العثور على كيس او كيسين ليملآنها ببعض المعلبات ، وبعد برهة عثرا على اثنين منها وراحا يملآنها ، بشكل عشوائي بمختلف انواع الاطعمة المعلبة ولحسن الحظ فلقد عثرا على مفتاح يستخدم لفتح العلب : «هيا ياآندي ... الى النفق !» .



آندي يصاب بالدهشة

فتح الولدان مصباحيهما وبدأ زحفهما نحو الاعلى ، فكان النفق يبدو لـ توم اطول مما كان عليه مما جعله يقف مندهشا ، ثم صوب ضوء مصباحه الى الامام وحدق في حيرة . «الممر ينشطر الى نصفين من هنا ! انا متاكد بانه لم يكن كذلك والا لكنت انتبهت وانا انزل من هنا !» تفحص آندي شطري النفق : «كلا ! لم تكن لتراه ، لقد جئت عبر تلك الزاوية المظلمة ، ولم تنتبه لوجود فرع اخر من هنا .. هيا !» .

«لكن انتظر ياآندي لست متاكدا ايهما الذي جئت منه !» قال توم .

«حسن» قال آندي «ذلك ليس مهما ، سنتخذ الذي على اليمين ولنتفاءل» .

«نعم ، يمكننا ذلك !» قال توم بارتياح «هيا لنسرع خلال هذا النفق وعسى ان يكون هو»

لكن شعور توم كان خاطئا فذلك الممر كان متعرجا اكثر من الاول ،

وسرعان ماشعر توم بانهما على خطأ . استمر الولدان في طريقهما خلال النفق الخطأ بارادتهما وسرعانماحظيا بضوء الشمس امامهما حيث انتهى الممر فجأة الى صدع عند قمة الجرف ، وهناك الى الاسفل كان البحر بامواجه المتلاطمة على صخور الساحل . استنشق الولدان الهواء المنعش بسعادة غامرة على حافة صخرية . قال أندي اتساءل اين نحن الآن بالضبط ؟ ربما عند الناحية الاخرى من (جرف الطيور) . لنذهب ونلق نظرة من الجانب الآخر ، فقد نتمكن من رؤية الحوض الذي رسا عنده قاربنا في المرة السابقة» . فاجاب توم : «حسن ! انظر انت فقط الى الاسفل ، انه علو شاهق بالنسبة لي وربما اصبت بالدوار !» .

«امسك رجلي اذن ، سانبطح على بطني عند الحافة وادلي براسي لارى مايمكنني رؤيته !» . نظر اندي الى المسافة البعيدة امامه كان البحر قليل الاضطراب ، كما كان الولدان على علو لايسمح لهما بسماع شيء ، كان التحديق الى البحر من هناك مرعبا !.

راحت عينا أندي تتفحصان الساحل حيث تعرف بسهولة الى الحوض المائي الضحل وفجأة شاهد شيئا جعله يفتح عينيه على وسعهما وشهق بغبطة جعلت توم يسأله بعصبية : «ماالذي هناك ؟ لقد تعبت من الامساك بك ! ماالذي تراه ؟!» .

لم يصدق أندي ماشاهد ، اغلق عينيه ثم فتحهما ثانية ، نعم كان لايزال هناك ، ياللروعة ! انسحب أندي على بطنه ثم اعتدل في جلسته ، كان الفرح يملأ قلبه وعيناه تلتمعان بسعادة :

«أندي ! ماالذي يحدث ؟» سأل توم .

«قاربنا !» صاح أندي بفرح وضرب بقبضته على الارض «انه قاربنا !.. قاربنا ياتوم !!»

«لكنهم اغرقوه !» قال توم ، وهو يظن بان أندي لابد اصيب بالجنون حيث قال أندي : «لقد كذب علينا اولئك الرجال . لم يقوموا باغراق القارب ، لقد جلبوه الى هنا بين طيات الصخور ، حيث لايمكن لاحد ان يراه الا من هنا» .

«لكن ياأندي ! اوه أندي ، هذا لايصدق» قال توم .

«هل ترغب في رؤيته ؟» قال أندي «ليس به شراع ، لكنني تعرفت عليه ، لقد قمت بعمل طيب ياتوم حين امسكت بساقي !» .

«نعم ، لكن كيف سنتمكن من النزول اليه ، ذلك لن يكون سهلا» . قال توم «يبدو لي ان الطريق الوحيدة التي يمكننا سلوكها هي الذهاب عبر النفق الآخر !» .

قال أندي ذلك وهو يتمدد على الارض «لكن على اية حال ، فمن الافضل ان نبقى مختبئين حتى المساء كي لايرانا احد ونحن نتسلل صوب القارب ، هيا لنعد الى ذلك النفق» . باشر الولدان سيرهما بعدئذ نحو فتحة الشلال ، حيث سلكا هذه المرة النفق الصحيح كان ماء الشلال شحيحا ذلك الوقت فتدبرا امرهما بشكل جيد حتى وصلا الى الحافة الصخرية عند منحدر جرف الطيور وجلسا هناك .

«الآن ، نتناول وجبة طعام» قال توم الجائع ابدا «بعد ذلك حمام شمسي لفترة طويلة ثم نذهب الى حيث يرسو القارب !» .

نام الولدان بعد ان تناولا طعاميهما ، ولم يستيقظا حتى نزلت الشمس الى المغيب ، استيقظ أندي ، اولا وراح يهز كتف توم : «توم ! هيا استيقظ ، انه وقت نزولنا للبحث عن القارب . سننزل الى اسفل الجرف وبعد ذلك نأخذ الجانب الغربي منه الى حيث الصخور الناتئة ، ثم علينا ان نمضي صوب الطيات الصخرية خلف الجرف حيث اخفي القارب ، انه وقت مناسب حيث وقت الجزر ، سيكون القفز على الصخور سهلا للغاية !» .

تثاءب توم فور استيقاظه ، لكنه كان يشعر بنشاط كبير ، بعد ذلك بدأ أندي بالنزول ثم تبعه توم وبعد ان وصلا الى اسفل الجرف استدار أندي صوب الناحية الغربية وبدأ بالقفز على الصخور : «انظر ! ذلك هو الطريق الذي قاموا باخفاء القارب عنده» قال أندي «لابد ان اولئك الرجال يعرفون الساحل جيدا ، ولابد ان بينهم بحارة ممتازين» . «هاهو !» صرخ أندي بفرح غامر «انظر ! محاط من كل الجوانب بالصخور العالية الم نكن لنعثر عليه لولا ملاحظتنا له من اعلى قمة الجرف» .

«مسكين ايها القارب ، كنا في غاية الاسى لفقدانك ، اليس كذلك ؟» قال توم .

«نعم ! لقد حزنت عليه كما لم احزن في حياتي» قال أندي ثم استمر : «على اية حال ، هاقد وجدناه ، وهو في انتظارنا ، هل تظن ان احدا يراقبنا ؟» .

كان المكان هادئا وخاليا على مايبدو حيث كان بالامكان تفتيش القارب بسهولة وامان لم يكن الشراع ممزقا ، بل ملفوفا وموضوعا على ظهر القارب ثم

نظر توم فوجد المجذافين عند المؤخرة ايضا ، ذلك رائع ! صعد الولدان الى ظهر القارب وراح أندي يتلمسه بحب .

اطبق الظلام على المكان ، نظر أندي الى السماء وقال : «اظن انها فكرة صائبة ان نبدأ بالابحار الآن . علينا ان نجازف ونتمنى ان لانصطدم بصخرة ، انا اعرف الطريق الآن !».

كان الولدان على وشك الانطلاق قبل ان يهتف أندي : «اسمع ! هل تسمع شيئا ؟» . حاول توم ان يلتقط بأذنه صوتا آخر غير مايسمعه من اصوات الريح والبحر حتى قال : «نعم ! يمكنني سماع صوت اعرفه ، چك ! چك ، نعم ذلك صوت احد القوارب ذوات المحرك !» «نعم !» قال أندي : «هذا هو تماما مانسمع ! اوه اتمنى انه ليس كذلك فنحن على وشك الخروج من هنا ، لقد اقترب الصوت اكثر ، من الافضل ان نختبىء ، فربما هذا القارب قادم نحونا !».

نظر الولدان حولهما ثم قفزا خلف احدى الصخور وراحا يراقبان ماسيحدث .

وجد القارب ذو المحرك طريقه حتى استقر بالقرب من قارب أندي ثم قفز رجل عن القارب ونادى على رفيق له «انه باندي !» همس توم «واظن ان الرجل الآخر هو ستامبي ماذا تراهما سيفعلان ؟» بعد ذلك اوقد مصباح في القارب ذي المحرك ووضع آخر على ظهر قارب أندي ثم انشغل باندي وستامبي فلم يميز الولدان مايدور بينهما : «اظن بانهم ينقلون بعض الحاجيات من قاربهم الى قاربنا» همس أندي : «آه لو اعرف مايفعلان ؟!».

ثم فجأة تعرف أندي على شيء ينقلانه فهتف فجأة مما افزع توم : «انظر ! ذاك هو موقدنا . اليس كذلك ؟ انهم يضعونه فوق قمرة قاربنا !».

صمت الولدان . وخطرت ببالهما نفس الفكرة . كان الموقد موجودا في الكهف عند (صخرة المهربين) . فما الذي حدث للفتاتين ؟ لابد ان الرجال تسلقوا الى الكهف واكتشفوا هروب الولدين ، فأين ذهبت الفتاتان ؟

اصاب القلق الولدين بحق فلم يحتملا التفكير بمصير الفتاتين ، وهما خائفتان ، وحيدتان تحت رحمة اولئك الاوغاد ، بدأت الامور تختلط على الولدين ، ترى لماذا جلبت حاجياتهم الى قارب أندي وما القصد من ذلك ؟ وفوق

كل ذلك : اين الفتاتان ؟!.. «هل سيقضيان الليل هنا ؟» همس توم «لن نتمكن من الهرب لو حدث ذلك فعلا» .

«حسن ، على اية حال لن يمكننا ذلك حتى يذهبا لكنهما يغلقان الطريق» همس أندي باكتئاب فقال توم : «اتمنى لو يذهبا ، سيكون جميلا جدا ان نعود لبلدتنا بالقارب فكل شيء فيه جاهز ! فقط لو نعرف ماحل بالفتاتين ؟».

انتهى الرجلان من تدخين لفافتي تبغ ثم نهضا دون ان يتكلما مع بعضهما ثم قال باندي : «سنذهب ويكون لنا مع الزعيم كلام آخر ! سنرى ان كان احدهم قد عثر على الولدين ، شيء جيد اننا امسكنا بالفتاتين فهما ضيفتان لطيفتان» . ثم تسلق الرجلان نحو حاشية صخرية ومضيا في طريقهما الى الاعلى ولم يتمكن توم ولا أندي من رؤية الاتجاه الذي ذهبا اليه فلقد كان الظلام شديدا .

«اتساءل كم سيمكثان هناك ، لدي فكرة جهنمية ! سنأخذ قاربهم ذا المحرك ، ونخاطر بالابحار به الى بلدتنا ، انا اعرف كيف اقوده !» قال أندي مسرورا فاجاب توم «ماذا ؟ نأخذ قاربهم ؟ هل تجرؤ على عمل ذلك حقا ؟!» .

نزلا الولدان من مكانهما وزحفا بهدوء على الصخور الى قارب الرجلين الذي كان لايزال جاثما على مياه الخليج الضيق . ثم قفزا اليه وراحا يتفحصانه ، وحين كان أندي يبحث عن كيفية تشغيله . فزع الولدان لسماع صوت غريب يأتي من قمرة القارب .

«يوجد شخص ما هنا !» همس أندي في اذن توم «هنا ! داخل القمرة من الافضل ان نخرج الآن وبسرعة . لانريد ان يكشف امرنا ، هيا ، بسرعة الآن !» .

«انه صوت يشبه الانين من عساه يكون ياأندي» همس توم .

ثم تناهى الى سمعيهما صوت يعرفانه جيدا بطبيعة الحال : «دعوني اخرج ! اين انا ؟ دعوني اخرج والا حطمت المكان هنا !».

شعر الولدان بالغبطة ثم حدقا بدهشة نحو قمرة القارب ذي المحرك : «انها جيل ، هذا هو صوت جيل !» قال أندي وقد نسي ان يهمس وسط دهشته العظيمة . قفز الولدان الى الاسفل ثانية وكانا في غاية اللهفة لاخراج الفتاة من القمرة . مضى أندي نحو باب القمرة وراح يصيح عليها : «جيل !. جيل ! توقفي

عن ضرب الباب يمكنني فتحها من هنا بسهولة» لكن الفتاة الصغيرة الهائجة استمرت في الضرب على الباب ، وبعد برهة يبدو ان جيل اخذت تشعر بالتعب فراحت تبكي بصوت متشنج .

ضرب أندي بقبضته على الباب : «جيل ! هذا انا أندي سنفتح لك الباب حالا !»

وبعد قليل من الهدوء التام صرخت جيل بحدة : «اوه أندي ، عزيزي أندي ، افتح الباب بسرعة» فتح أندي الباب حيث القت جيل بنفسها عليه وعلى توم وهي تبكي من الفرح : «.. ظننت باننا فقدناكما الى الابد ، لم نعرف ماذا نفعل حين لم تحضرا ، ياعزائي ، هيا لنعد الى البيت»

«لكن اين ماري ؟» سأل توم

«انها داخل القمرة ولن يمكننا ايقاظها !» قالت جيل ثم تناول أندي المصباح من فوق القمرة وصوبه نحو الداخل حيث كانت ماري مستلقية على سرير صغير .

«ماالذي حدث لها ؟» سأل أندي . «لااعرف» اجابت جيل «لقد جلبوا لنا شايا لم اشرب منه الا قليلا اما ماري فقد شربت كثيرا منه ، بعد ذلك شعرنا بنعاس ثقيل ولم نعلم ماحدث بعد ذلك ، لقد صحوت من نومي توا وانا اشعر بالغثيان» .

«نعم ، لقد سمعنا انينك» قال أندي «مسكينة جيل ، اتوقع ان ماري ستصحو قريبا ، اظن ان لديكما الكثير لتخبرانا به ، ونحن بدورنا لدينا اشياء مثيرة سنخبركما بها ايضا ، لكن لايمكننا البقاء هنا الآن ، فقد يأتي اولئك الرجال حالا !»

تذكر أندي بان باندي وستامبي قد يحضران عند اية لحظة «انظروا ! يجب ان لانقف هنا مكتوفي الايدي ، يجب ان نقرر ماسنفعل .» وبعد ذلك صدر عن ماري انين عميق جعل الاولاد يقفزون من اماكنهم فذهبت جيل الى حيث ترقد شقيقتها : «كل شيء على مايرام ياماري ستشعرين بالتحسن حالا !» .

عادت ماري تئن ثانية من شدة الاعياء وهي نصف نائمة : «لنخرجها الى الهواء» قال أندي ساعد الولدان الفتاة المسكينة على الخروج الى الهواء الطلق حيث توقفت عن الانين فجأة : «ياالهي ! توم ! أندي كيف يمكن ان تكوناهنا !؟!» فأجاب أندي : «سنخبرك عن ذلك حالا ، ليس لدينا وقت الآن .

سنشغل المحرك ونبدأ بالخروج من هنا» .

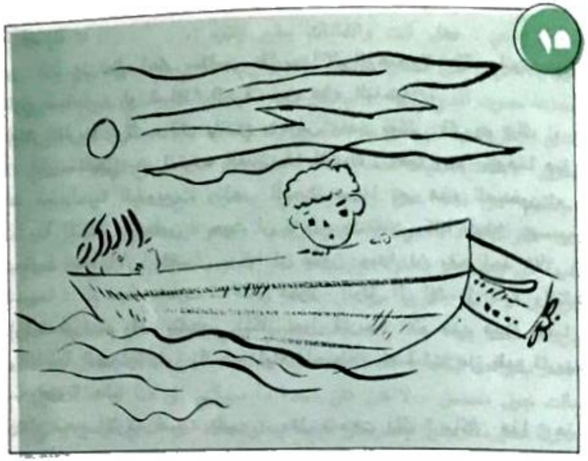
فعل أندي مابوسعه لتشغيل المحرك لكنه لم يفلح ، وكان على وشك ان يصرخ . «ماذا هناك ؟ الا يمكنك تشغيله ! دعني اجرب» قال توم وهو حانق حاول الجميع لكنهم لم يفلحوا ايضا وبعد قليل صاح توم : «انظروا ، شخص ما قادم نحونا .»

حدق الاولاد نحو الخليج الضيق ، نعم ! كان هناك شخصان قادمان ، لابد انهما باندي وستامبي . : «اقفزوا عن ظهر القارب بسرعة !» همس أندي وهم يمد لـ جيل يد العون ، ثم قام توم باغلاق باب القمرة واغلاقها ثم التحق بالبقية نحو الحافة الصخرية وانبطح الجميع خلفها .

حضر باندي وستامبي . فتسمر الاولاد في اماكنهم ثم جاءهم صوت ستامبي قائلا : «هاتان الفتاتان بخير اليس كذلك ، والمفروض انهما استيقظتا الآن ، فهذا العقار المنوم الذي اعطيتهما اياه مع الشاي لم يكن قويا الى هذا الحد ، اليس كذلك ؟» .

«اوه ! اتركهما الآن وشأنهما !» قال باندي بصوته الاجش : «اتركهما في هدوء علينا نقلهما الى قمرة قاربهما ونقفل عليهما بسلام . ولن يتمكن احد من معرفة مكانيهما فان استطاع الولدان الافلات نحو بلدتهما واخبار السلطات ، فسنستخدم الفتاتين كرهينة انه عمل مثمر !» .

«حسن اذن ! ساجلب احداهن الى هنا» قال ستامبي وهو يفتح الباب : «هيا ناولني المصباح» . مضت دقيقة صمت حين كان ستامبي يتناول المصباح ويدخل به الى القمرة ثم فجأة ! ندت عنه صيحة قوية : «ماهذا ؟ لايوجد احد هنا لقد اختفت الفتاتان !!!» .



فكرة انحي الرائعة

شعر كل من باندي وستامبي بالغضب والدهشة ، حين لم يعثرا على رهينتيهما : «لكن الباب لاتزال موصدة ! فكيف تمكنتا من الهرب ؟!»
«كما انه لاتوجد نافذة في القمرة يمكن الهروب منها !»
«لقد تركناهما تغطان في نوم عميق ، لقد شاهدتهما بأم عيني قبل ان نذهب واقفلت الباب ورائي»
«نعم لقد رأيتك ! سأقسم باني رأيتك !» .
«انظر هنا ! هل تعتقد بان احدا ما جاء واخرجهما ، ثم اقفل الباب بعد ذلك ؟!»
قال باندي بصوته الاجش المعروف ، مضت لحظات صمت ثم قال ستامبي : «ذلك ممكن ، لكن من يوجد هنا عند منتصف الليل ؟ في هذا المكان الموحش ، لنذهب ونخبر الزعيم !»
«لا ! ليس انا !» قال باندي : «ماذا تعتقد انه سيقول حين يعلم ان رهينتيه

الثمينتين قد اختفيتا ؟! عندئذ تكشف لعبته ! كلا ياستامبي يجب العثور عليهما باية وسيلة !» .

«نعم ! انت على حق» اجاب ستامبي «قاربهما لايزال هنا ولا اعتقد بانهما عبرتا الخليج سباحة ، او تسلقتا الجرف من هذه الناحية .»

«فلنفتش قاربنا اولا .» قال باندي : «ومن بعده نفتش قاربهم ذاك !» قال ستامبي بعد تفتيشه القارب ذا المحرك : «هيا ، لم اجدهما هنا ، لناخذ مصباحينا اليدويين ، ونذهب للبحث عنهما بين هذه الصخور !» .

بدا الاولاد يرتجفون ، حيث ان باندي وستامبي كانا رجلين عصبيين بطبيعتهما وهما الآن غاضبان ، لذا لن يكون جيدا ان يقع احد -الآن في قبضتيهما !. ثم فجاة خطرت لـ اندي فكرة ، انزلق الى الاسفل قليلا والتقط حجارة صغيرة ثم وقف يتفحص المكان حول قاربهم . ثم حدد هدفا معينا ، ورمى بقطعة الحجارة بقوة باتجاه المياه المحيطة ، فسقطت على ظهر قاربهم محدثة صوتا عاليا .

«هش !» سمع الاولاد صوت باندي : «هل سمعت ذلك ؟ ماكان هذا ؟ هذا الصوت قادم من قارب الاولاد ، لابد انهم هناك ، هيا ، لنمسك بهم بسرعة !» .

نسي الرجلان كل شيء عن فكرة البحث بين الصخور ، فقفزا الى سطح القارب فقفز الولد الصياد اندي خلفهما بسرعة وخفة ، دون ان ينتبها له ، لم يكن متاكدا من نجاح فكرته لكنها كانت في رايه تستحق المحاولة .

صوب الرجلان ضوء مصباحيهما حول القارب ، ثم رفعا الشراع الملفوف فلم يعثرا على احد «لابد انهما مختبئتان داخل القمرة !» قال باندي : «هيا .. سوف نرى !» .

فتح باندي باب القمرة ودلف الى داخلها وكان ستامبي واقفا امام الباب ينظر الى مايفعل صديقه . وبقفزة بهلوانية رائعة دفع اندي بـ ستامبي الى داخل القمرة فسقط على وجهه واصطدم راسه بمائدة خشبية في الداخل ، ولقد ظن باندي بان احدا ما قد هجم عليه فراح يضرب ويركل في الظلام ، دون ان ينتبه الى ان الشخص المتهاوي عليه كان رفيقه ستامبي وبعد قليل تشابك الاثنان ، وراح كل منهما يشتم الآخر ويضربه . طار اندي من الفرح وزحف نحو باب القمرة ثم اغلقها واقفلها فانتبه الرجلان للصوت وتوقفا عن التقاتل !.

انتبه توم ومعه ماري وجيل لذلك الصوت فقفزوا من اماكنهم ثم جاءهم

صوت اندي : «هل انت والفتيات بخير ياتوم ؟» .

«نعم ياأندي ، لكن ماكان كل هذا الصراخ ؟» نادى توم على اندي وهو سعيد لـ سماعه صوت اندي ثانية اذ لم تكن لديه فكرة عما كان اندي يفعله . «اوه ! انه باندي داخل قمرة قاربنا ومعه ستامبي وقد اقفلت عليهما» قال اندي وكان لايزال مسرورا . هللت الفتيات لسماع ذلك ، كذلك توم الذي صاح قائلا : «اندي ! لقد سجنتهم اذن ذلك عمل رائع ياأندي ، عمل رائع !» .

قفز الاولاد جميعا الى ظهر قاربهم ، ويبدو ان باندي وستامبي قد تعرفا اخيرا الى بعضهما فحاولا جهديهما فتح الباب : «ذلك لن ينفع !» صاح توم بالرجلين : «انها اقوى من ان تكسر .»

«هل امسكت بهما حقا ؟» سالت ماري وهي تجلس على حاشية القارب . «اشعر بالراحة التامة ، تلك كانت خدعة ممتازة ياأندي ماذا سنفعل بعد ذلك ؟» سالت جيل «حسن ، لااظن بان احدا ما سياتي الى هنا في هذا الليل ، لذا سنترك هذين الرجلين يصرخان كيفما يحلو لهما» قال اندي «وحين ياتي الفجر سنحاول اخراج قاربهما عبر الخليج الضيق ونبعده عن طريق قاربنا وبعد ذلك نبحر الى بلدتنا» .

«مع باندي وستامبي ؟» سال توم وعيناه مفتوحتان من الدهشة .

«نعم ، عليهما المجيء معنا بارادتهما او من دونها !» قال اندي «سجينان لطيفان ! سيشرحان ماخفي هنا للناس هناك» .

«ساكون في غاية السرور حين نصل بلدتنا بسلام !» قالت جيل بارتياح واضح .

«جميعا سنكون كذلك» قال اندي «افكر ان نستريح حتى الفجر اذ لن يمكننا اخراج القارب في مثل هذا الظلام .»

«اوه ! ياأندي . يخيل لي باننا قد نمنا لقرون عديدة !» . قالت جيل «الا يمكننا ان نتحدث؟ اريد معرفة كل شيء عن مغامراتكما وسنخبركما ايضا بما حدث لنا» .

«لك ذلك ، هيا !» قال اندي : «لقد اخذنا انا وتوم قسطا من النوم ، سنتكلم كلنا لكن الطقس بارد هنا والاغطية والمفارش في قمرة قاربنا» .

لذا ذهب الاربعة الى القارب ذي المحرك وجلسوا داخل قمرته كما اوقدوا فانوسا وراح الاولاد يشرحون كل ماحدث لهما وحين انتهوا كان الفجر يبزغ ويبعث الامل في قلوبهم .



العودة الى المنزل

في الصباح ، قفز الاولاد الى ظهر القارب ذي المحرك ولسبب ما لم يكن المحرك يشتغل «لنعطه دفعة قوية» قال أندي «سوف يطفو بعيدا ويفسح المجال امام قاربنا ليخرج» . لذلك فك الاولاد الحبل الذي ربط به القارب الى احدى الصخور المدببة ، وبدفعة واحدة من الاولاد ابتعد القارب الى الجانب الآخر من الخليج الصغير . صرخت جيل فرحة : «انه يبتعد ! انه يبتعد لوحده نحو البحر !».

«سنفتح شراع قاربنا بمجرد ان نصبح باتجاه الريح» قال توم وهو يتقافز فرحا ، وخلال ذلك كان الضجيج والضرب والصياح يصدر من قمرة قارب الاولاد لكن قفل الباب كان يبدو قويا وثابتا . «افعلا ماتشتهيان من ضجة !» صاح بهما أندي بمرح «نحن لانمانع ، وعلى فكرة ! لقد اضعنا قاربكما في عباب البحر ، واتمنى ان لايكون قد تهشم الآن» .

كان الاولاد يضحكون من كل قلوبهم ، حيث كانوا يشعرون بسعادة عظيمة ، فلقد استعادوا قاربهم ، وهاهم مع بعضهم مرة اخرى كما ان بحوزتهم سجينين يحملان معهما اسرار هذه الجزيرة ، كما انهم سيبحرون باتجاه الريح .. كان كل ذلك كفيلا بادخال السرور الى قلوبهم ، نظر آندي الى ساعته وقرر بان لديهم عشر دقائق لتناول الطعام حيث كان الولدان يحتفظان بعدة علب من تلك التي جلبوها من ذلك الكهف ـ المخزن .

كانت تلك وجبة احتفالية بالطبع ، خصوصا وان ماري وجيل كانتا في غاية الجوع وهاهما تشعران بالشبع والطمأنينة .

بدأ الاولاد رحلة العودة ، حيث راح الولدان يجذفان بقوة وعناية لاخراج القارب بسهولة من خلال الخليج الضيق ، واخيرا ، كان قاربهم يتمايل فوق امواج البحر .

«علينا اجتياز ذلك الممر المائي بين الصخور» قال آندي «ثم نستدير عند نهايته حتى نكون بمواجهة البحر ومن ثم ... الى بلدتنا !» .

اصبح القارب الآن في عرض البحر ، وكان تيار الماء يعلو بحدة فتضربه الريح القوية . وبعد فترة سمع الاولاد ضجة وضوضاء مرة اخرى تأتي من داخل قمرة القارب .

«انه باندي يقول بانه سيختنق ويرغب في بعض الهواء !» قال توم مبتسما . وضعت جيل فمها على احدى شقوق الباب وصاحت : «لقد جعلتمانا انا وشقيقتي نشعر بالغثيان بفعل المنوم الذي سقيتمونا اياه ، انه دوركما الآن ، لن تخرجا الى هنا ابدا ، ابدا» .

«بالطبع !» قال آندي وهو يدير دفة القارب : «هل يعتقدان حقا باننا سنسمح لهما بالخروج الى هنا !؟ حتى يقضيا علينا ! ثم يحملانا ثانية الى صخرة المهربين ، يالها من امنية ! من الواضح ان باندي وستامبي قد فقدا الامل بالخروج ، لانهما صمتا !» دخل الاولاد بقاربهم نحو مياه البلدة عند حوالي الساعة الحادية عشرة ، كان شراع القارب يبدو مميزا خلال الامواج الزرقاء نظر الاولاد باتجاه الساحل بلهفة ترى ؟ هل ستكون والدتهم هناك ؟ وهل سيكون والد آندي هناك ايضا ؟! لكن من اين سيعرفان بان الاولاد في الطريق اليهم في تلك الساعة بالذات ؟! لكنهما كانا هناك !! فلقد لمح احد الصيادين

قارب الاولاد حين استدار نحو المرفأ ، فذهب من فوره يخبر الجميع . حضرت والدتهم مسرعة ونزلت الى اسفل الشاطىء ، كان وجهها يبرق بالامل والسعادة ، فلقد اصيبت بخيبة الامل خلال الايام القليلة الماضية ، كان والد آندي يقف هناك ايضا وعيناه الزرقاوان تراقبان القارب القادم . ثم سمع الجميع صيحة من مكان قريب : «انهم جميعا في القارب ! الاربعة كلهم ! انهم بخير ، شكرا لله على ذلك .»

وقف والد آندي قرب والدة توم وقال لها : «انهم بخير ياسيدتي» وكانت عيناه تلتمعان من شدة الفرح : «كنت اعرف انهم بخير مادام آندي معهم انظري اليهم ، انهم يلوحون لنا انهم بخير ياسيدتي !» .

نزل عدد من الصيادين يساعدون القارب على الوقوف بالقرب من الصخرة الناتئة ، ثم قفز الاولاد واحدا بعد الآخر وركضوا صوب والدتهم ووالد آندي ثم اشار آندي نحو القارب خلفه : «لدينا سجينان هنا ياوالدي ، تدبروا امرهما فهما خطران ، لقد اوصدنا باب القمرة عليهما» .

حدق الجميع بدهشة ، سأل والد آندي اسئلة كثيرة حول الموضوع فاجابه آندي عليها وهو يلهث ، ثم ذهب ثلاثة من الصيادين نحو القارب واخرجوا باندي وستامبي وقيدوهما بالحبال .

«انه امر يخص الشرطة والمسؤولين ياابي» قال آندي : «هناك اشياء كثيرة .. وخطيرة تحدث عند (جرف الطيور) و (صخرة المهربين) . لقد عثرنا على مخابىء للذهب !»

راح الصيادون يصفرون وينظر بعضهم الى بعض ، ثم ذهب احدهم ليأتي برجال الشرطة .

«يكاد الجوع يقتلني !» قال توم . ضحكت الفتاتان ، اذ من الطبيعي ان يقول توم ذلك ، وفي غمرة الفرح والسعادة طوقت الام اولادها بذراعيها .

«سنذهب الآن الى المنزل لاعد لكم وجبة مدهشة !» قالت الام : «انا مسرورة للغاية لانكم عدتم ثانية ، فلن تتصوروا عظيم قلقي وخوفي عليكم حين لم يعثر والد آندي عليكم . حيث ذهب مع اصدقائه واقربائه من الصيادين عدة مرات للبحث عنكم .» .

ذهبت الام واولادها ومعهم آندي ووالده . اما باندي وستامبي فلقد

تركوهما في عهدة الصيادين لحين وصول رجال الشرطة .

وصل رجال الشرطة وراحوا يحققون في الامر ، ثم جلس رئيسهم يستمع بدهشة لما كان باندي وستامبي يدليان به ، بعد ذلك ارسل الشرطة برقيات للسلطات العليا حول الامر .

وحين كان الاولاد مع امهم وأندي ووالده يتناولون الطعام ، قال توم : «حين ينتهي الامر على خير ، فلن يهمنا بعد ذلك اي شيء ، انني اتساءل ماذا سيحدث لكل اولئك المهربين ؟»

بعد اسبوع ، وصل طرد بريدي بأسم توم . وحين فتحه وجد الة تصوير جديدة وورقة كتب عليها : «شكرا لمساعدتكم لنا» التوقيع . رئيس الشرطة .

●

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد
١٨٥ لسنة ١٩٨٧

مطبعة سومر هاتف ٧١٩٩٧٤٣

السعر ٥٠٠ فلس

مطبعة سومر هاتف ٧١٩٩٧٤٣